

﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ٦٢ ﴾ الفاء لترتيب الأمر أو موجه على ما تقرر من بطلان مقابلة القرآن بالتعجب والضحك وحقية مقابلته بما يليق به ، ويدل على عظم شأنه أي وإذا كان الأمر كذلك فاسجدوا لله تعالى الذي أنزله واعبدوه جل جلاله ، وهذه آية سجدة عند أكثر أهل العلم ، وقد سجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عندها أخرج الشيخان . وأبو داود . والنسائي . وابن مردويه عن ابن مسعود قال : « أول سورة أنزلت فيها سجدة (والنجم) فسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسجد الناس كلهم إلا رجلاً » الحديث . وأخرج ابن مردويه . والبيهقي في السنن عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما « قال : صلى بنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقرأ النجم فسجد بنا فأطال السجود » وكذا عمر رضي الله تعالى عنه ، أخرج سعيد ابن منصور عن سبرة قال : صلى بنا عمر بن الخطاب الفجر فقرأ في الركعة الأولى سورة يوسف ، ثم قرأ في الثانية سورة النجم فسجد ، ثم قام فقرأ إذا زلزلت ثم ركع ، ولا يرى مالك السجود هنا ، واستدل له بما أخرجه أحمد . والشيخان . وأبو داود . والترمذي . والنسائي والطبراني وغيرهم عن زيد بن ثابت قال : قرأت النجم عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يسجد فيها ، وأجيب بأن الترك إنما ينافي وجوب السجود وليس بمجمع عليه وهو عند القائل به على التراخي في مثل ذلك على المختار وليس في الحديث ما يدل على نفيه بالكلية فيحتمل أنه عليه الصلاة والسلام سجد بعد ، وكذا زيد رضي الله تعالى عنه ، نعم التأخير مكروه تنزيهاً ولعله فعل ليان الجواز ، أو لعذر لم نطلع عليه ، وما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس من قوله : « إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يسجد في شيء من المفصل منذ تحول إلى المدينة » ناف وضعيف ، وكذا قوله فيما رواه أيضا عنه « كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يسجد في النجم بمكة فلما هاجر إلى المدينة تركها » على أن الترك إنما ينافي ما سمعت الوجوب ، والله تعالى أعلم .

﴿ سورة القمر ﴾

وتسمى أيضا (اقتربت) وعن ابن عباس أنها تدعى في التوراة الميضة تبيض وجه صاحبها يوم تسود الوجوه ، أخرجه عنه البيهقي في شعب الإيمان لكن قال : إنه منكر (وهي مكة) في قول الجمهور ، وقيل : بما نزل يوم بدر ، وقال مقاتل : مكة إلا ثلاث آيات (أم يقولون) إلى (وأمر) واقتصر بعضهم على استثناء (سيهزم الجمع) الخ ، ورد بما أخرجه ابن أبي حاتم . والطبراني في الأوسط . وابن مردويه عن أبي هريرة قال : أنزل الله تعالى على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة قبل يوم بدر (سيهزم الجمع ويولون الدبر) وقال عمر بن الخطاب : قلت : يا رسول الله أي جمع يهزم ؟ فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت إلى رسول الله ﷺ في آثارهم مصلاً بالسيف وهو يقول : (سيهزم الجمع ويولون الدبر) فكانت ليوم بدر ، وفي الدر المنثور : أخرج البخاري عن عائشة قالت : « نزل على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة وإني لجارية ألعب (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) » ويرد به وبما قبله ما حكي عن مقاتل أيضا ، وقيل : (إلا أن المتقين) الآيتين وآياتها خمس وخمسون بالاجماع ، ومناسبة أولها لآخر السورة التي قبلها ظاهرة فقد قال سبحانه : (ثم أزفت الآزفة) وهنا (اقتربت الساعة) وقال الجلال السيوطي : لا يخفى ما في توالي هاتين السورتين من حسن التناسق (١٠ م - ٢٧ ج - تفسير روح المعاني)

للتناسب في التسمية لما بين - النجم ، والقمر - من الملايسة ، وأيضا إن هذه بعد تلك - كالأعراف بعد الانعام ، والشعراء بعد الفرقان ، وكالصفات بعد يس - في أنها تفصيل لأحوال الأمم المشار إلى إهلاكهم في قوله تعالى : (وأنه أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى وقوم نوح) إلى قوله سبحانه : (والمؤتفة أهوى) .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾ أي قربت جداً ﴿ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ۚ ﴾ انفصل بعضه عن بعض وصار فرقتين وذلك على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الهجرة بنحو خمس سنين فقد صح من رواية الشيخين . وابن جرير عن أنس أن أهل مكة سألوه عليه الصلاة والسلام أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما ، وخبر أبي نعيم من طريق الضحاك عن ابن عباس - أن أجبار اليهود سألو آية فأراهم الله تعالى القمر قد انشق - لا يعول عليه ، وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابن مسعود « انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرقتين فرقة على الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله ﷺ : اشهدوا » ومن حديثه أيضاً « انشق القمر على عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام فقالت قريش : هذا سحر ابن أبي كبشة فقال رجل : انتظروا ما يأتيكم به السفار فان محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم فجاء السفار فأخبروهم بذلك » رواه أبو داود . والطيالسي ، وفي رواية البيهقي « فسألوا السفار وقد قدموا من كل وجه فقالوا : رأيناه » فأنزله الله تعالى : (اقتربت الساعة وانشق القمر) *

وأخرج أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس من وجه ضعيف قال : « اجتمع المشركون على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منهم الوليد بن المغيرة . وأبو جهل بن هشام . والعاص بن وائل . والعاص بن هشام . والاسود بن عبد يغوث . والاسود بن المطلب . وربيعة بن الاسود . والنضر بن الحرث فقالوا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم : إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قينقاع فقال لهم النبي ﷺ : « إن فعلت تؤمنوا ؟ قالوا : نعم وكانت ليلة بدر فسأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ربه عز وجل أن يعطيه ما سألو فأمسى القمر قدمثل نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قينقاع ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ينادي يا أبا سلبة بن عبد الاسد . والأرقم بن الأرقم اشهدوا » *

والاحاديث الصحيحة في الانشقاق كثيرة ، واختلف في تواتره فقيل : هو غير متواتر ، وفي شرح المواقف الشريفي أنه متواتر وهو الذي اختاره العلامة ابن السبكي قال في شرحه لمختصر ابن الحاجب : الصحيح عندي أن انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن مروي في الصحيحين وغيرهما من طرق شتى بحيث لا يمتري في تواتره انتهى باختصار ، وقد جاءت أحاديثه في روايات صحيحة عن جماعة من الصحابة منهم على كرم الله تعالى وجهه . وأنس . وابن مسعود . وابن عباس . وحذيفة . وجبير بن مطعم . وابن عمر . وغيرهم ، نعم إن منهم من لم يحضر ذلك كابن عباس فانه لم يكن مولوداً إذ ذاك وكأنس فانه كان ابن أربع أو خمس بالمدينة ، وهذا لا يطعن في صحة الخبر كما لا يخفى ، ووقع في رواية البخاري . وغيره عن ابن مسعود « كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمنى فانشق القمر » ولا يعارض ما صح عن أنس أن ذلك كان بمكة لأنه لم يصرح بأنه عليه الصلاة والسلام كان ليلتذ بمكة ، فالمراد أن الانشقاق كان والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم إذ ذاك مقيم بمكة قبل أن يهاجر إلى المدينة ، ووقع في نظم السيرة للحافظ أبي الفضل العراقي ما هو نص في وقوع الانشقاق مرتين . وظاهر في أنه مجمع على وقوعه كذلك حيث قال : وانشق مرتين بالاجماع ، وكان مستند الأول ما أخرجه

عبد بن حيد والحاكم وصححه وابن مردويه . والبيهقي في الدلائل من طريق مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود قال: رأيت القمر منشقا شقتين مرتين بمكة قبل مخرج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الحديث ، وأما الاجماع فغير مسلم ، وفي المواهب قال الحافظ ابن حجر : أظن أن قوله: بالاجماع يتعلق - بانشق - لا بمرتين فاني لأعلم من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولعل قائل مرتين أراد فرقتين ، وهذا الذي لا يتجه غيره جمعا بين الروايات انتهى ، ولا يخفى أن هذا التأويل مع بعده لا يتسنى في خبر ابن مسعود المذکور آنفا لمكان شقتين وهي بمعنى فرقتين ومرتين معاً ، والذي عندي في تأويل ذلك أن مرتين في كلام ابن مسعود قيد للرؤية وتعددتها لا يقتضي تعدد الانشقاق بأن يكون رأه منشقا فصرف نظره عنه ثم أعاده فراه كذلك لم يتغير فقيه إشارة إلى أنها رؤية لاشبهة فيها وقد فعل نحو ذلك الكفرة ، أخرج أبو نعيم من طريق عطاء عن ابن عباس قال : انتهى أهل مكة إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا : هل من آية نعرف بها أنك رسول الله؟ فهبط جبريل عليه السلام فقال : يا محمد قل لاهل مكة أن يجتمعوا هذه الليلة يروا آية فأخبرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمقالة جبريل عليه السلام فخرجوا ليلة أربع عشرة فانشق القمر نصفين نصفاً على الصفا ونصفاً على المروة فنظروا ثم قالوا بأبصارهم فسحوا ثم أعادوا النظر فنظروا ثم مسحوا أعينهم ثم نظروا فقالوا ما هذا إلا سحر فأنزله الله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) فلو قال أحد هؤلاء رأيت القمر منشقا ثلاث مرات على معنى تعدد الرؤية صح بلا غبار ولم يقتض تعدد الانشقاق فليخرج كلام ابن مسعود على هذا الطرز ليجمع بين الروايات ، ثم هذا الحديث إن صح كان دليلا لما أشار اليه البوصيري في قوله :

شق عن صدره وشق له البدن ومن شرط كل شرط جزاء

من أن الشق كان ليلة أربع عشرة لأن البدر هو القمر ليلة أربع عشرة ويعلم من ذلك ما في قول العلامة ابن حجر الهيتمي في شرحه : ظاهر التعبير بالبدر دون القمر أن الشق كان ليلة أربع عشرة ولم أر له في ذلك سلفا ، ولعله أراد بالبدر مطلق القمر ، ويؤيد كونه ليلة البدر ما أخرجه الطبراني ، وابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : كسف القمر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا : سحر القمر فنزلت (اقتربت الساعة) إلى (مستمر) فإن الكسوف وإن جاز عادة أن يكون ليلة الثالث عشر وليلة الخامس عشر إلا أن الأغلب كونه ليلة الرابع عشر ولا ضرورة إلى حمل الكسوف في هذا الخبر على الانشقاق إذ لا مانع كافي البداية والنهاية أن يكون قد حصل للقمر مع انشقاقه كسوف ، نعم ذكر فيها أن سياق الخبر غريبه ثم إن القمر بعد انشقاقه لم تفارق قطعاته السماء بل بقيتا فيهما متباعدتين تباعداً ما لحظته ثم اتصلتا ، وما يذكركه بعض القصاص من أنه دخل في جيب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وخرج من كفه فباطل لا أصل له كما حكاه الشيخ بدر الدين الزركشي عن شيخه العماد بن كثير ولعنة الله تعالى على من وضعه . وما في خبر أبي نعيم - الذي أخرجه من طريق الضحاك عن ابن عباس من أنه انشق فصار قرين أحدهما على الصفا والآخر على المروة قدر ما بين العصر إلى الليل ينظرون اليه ثم غاب - لا يعول عليه ، كيف وقد تضمن ذلك الخبر أن الانشقاق وقع لطلب أخبار اليهود وأن القائل (هذا سحر مستمر) هم ، وهو مخالف لما نطقت به الاخبار الصحيحة الكثيرة كما لا يخفى على المتتبع ، وقد شاع « أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أشار إلى القمر بسبابته الشريفة فانشق » ولم أره في خبر صحيح والله تعالى أعلم .

وأنكر الفلاسفة أصل الانشقاق بناءً على زعمهم استحالة الخرق والالتزام على الاجرام العلوية ودليلهم على ذلك أو هن من بيت العنكبوت وقد خرق بأدنى نسمة من نسمات أفكار أهل الحق العلويين خرقاً لا يقبل الالتزام كما بين في موضعه ، وقال بعض الملاحدة : لو وقع لنقل متواتراً واشترك أهل الارض كلهم في معرفته ولم يختص بها أهل مكة لأنه أمر محسوس مشاهد والناس فيه شركاء والطباع حريصة على رواية الغريب ونقل ما لم يعهد ، ولا أغرب من انشقاق هذا الجرم العظيم ولم يعهد أصلاً في الزمن القديم ولو كان له أصل لخلد أيضاً في كتب التسيير والتنجيم ولذكره أهل الارصاد فقد كانت موجودة قبل البعثة بكثير وإطباقيهم على تركه وإغفاله مع جلالة شأنه ووضوح أمره مما لا تجوزه العادة ، وإيضاً لا يعقل سبب لخرق هذا الجرم العظيم وإيضاً خرقه يوجب صوتاً هائلاً أشد من أصوات الصواعق المهلكة بأضعاف مضاعفة لا يبعد هلاك أكثر أهل الأرض منه ، وإيضاً متى خرق وصار قطعتين ذهبت منه قوة التجاذب كالجلجل إذا انشق فيلزم بقاؤه منشقاً ولا أقل من أن يبقى كذلك سنين كثيرة ، والجواب عن ذلك أنه وقع في الليل وزمان الغفلة وكان في زمان قليل ورؤية القمر في بلد لا تستلزم رؤيته في جميع البلاد ضرورة اختلاف المطالع فقد يكون القمر طالعاً على قوم غائباً عن آخرين ومكسوفاً عند قوم غير مكسوف عند آخرين والاعتناء بأمر الارصاد لم يكن بمثابة اليوم وغفلة أهلها لحظة غير مستبعد والانشقاق لا يختلف به منازل ولا يتغير به سيزه غاية ما في الباب أن يحدث في القطعة الشرقية قوة سير لتلحق أختها الغربية ، وأى مانع من أن يخلق الله تعالى فيها من السرعة نحو ما خلق الله سبحانه في ضوء الشمس فقد قال أهل الحكمة الجديدة : إن بين الأرض والشمس ثلاثمائة ألف فرسخ وأربعون ألف فرسخ وأن ضوءها ليصل إلى الأرض في مدة ثمان دقائق وثلاث عشرة ثانية فيقطع الضوء في كل ثانية سبعين ألف فرسخ ولا يلزم أن يعلم سبب كل حادث بل كثير من الحوادث المتكررة المشاهدة لم يوقف على أسبابها كروية الكواكب قريبة مع بعدها المفرط فقد ذكروا أنهم لم يقفوا على سببه ويكفي في ذلك عدم وقوفهم على سبب الإبصار بالعين على الحقيقة ولو أخبرهم مخبر بفرض إن لم يكن لهم أبصار بخواص البصر مع كونه قطعة شحم صغيرة معروفة أحوالها عند أهل التشريح لأنكروا عليه غاية الانكار وكذبوه غاية التكذيب ونسبوه إلى الجنون هـ ومن سلم تأثير النفوس إلى حد أن يصرح الشخص آخر بمجرد النظر إليه وتوجيه نفسه نحوه لم يستبعد أن يكون هناك سبب نحو ذلك ، وقد صح في إصابة العين أن بعض الاعراب ممن له عين صائبة يفلق سنام الناقة فلقنتين ، وربما تصور له من رمل فينظر إليه ويفلقه فينفلق سنامها مع عدم رؤيته لها نفسها وهذا كله من باب المباشرة وإلا بإرادة الله تعالى كافية في الانشقاق وكذا في كل المعجزات وخوارق العادات ولو كان لكل حادث سبب لزم التسلسل وقد قامت الأدلة على بطلانه ، وكون الخرق يوجب صوتاً هائلاً ممنوع فيما نحن فيه ومثله ذهاب التجاذب والاجسام مختلفة من حيث الخواص فلا يلزم اتحاد جرم القمر والأرض فيها ويمكن أن يكون إحدى القطعتين كالجلجل العظيم بالنسبة إلى الأرض إذا ارتفع عنها بقاسر مثلاً جذبته إليه إذ لم يخرج عن حد جذبها على مازعموه ويلتزم في تلك القطعة عدم الخروج عن حد الجذب على أنا في غنى عن كل ذلك أيضاً بعد إثبات الامكان ل قدرته عز وجل وأنه سبحانه فعال لما يريد •

والحاصل أنه ليس عند المنكر سوى الاستبعاد ولا يستطيع أن يأتي بدليل على الاستحالة النائية ولو انشق ، والاستبعاد في مثل هذه المقامات قريب من الجنون عند من له عقل سليم ، وروى عن الحسن أنه قال : هذا

الانشقاق بعد النفخة الثانية، والتعبير بالماضي لتحقيق الوقوع، وروى ذلك عن عطاء أيضاً، ويؤيده تقدم الذي عليه الاكثرون قراءة حذيفة وقد انشق القمر فان الجملة عليها حالية فتقتضي المقارنة لاقترب الساعة ووقوع الانشقاق قبل يوم القيامة، وكذا قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا ﴾ فانه يقتضى أن الانشقاق آية رأوها وأعرضوا عنها، وزعم بعضهم أن انشقاق القمر عبارة عن انشقاق الظلمة عند طلوعه وهذا كما يسمى الصبح فلماً عند انقلاق الظلمة عنه وقد يعبر عن الانقلاق بالانشقاق كما في قوله النابغة:

فلما أدبروا ولهم دوى دعانا عند (شق) الصبح داعي

وزعم آخر أن معنى انشق القمر وضح الامر وظهر وكلا الزعمين مالا يعول عليه ولا يلتفت اليه ولا أظن الداعي اليهما عند من يقتر بالساعة التي هي أعظم من الانشقاق ويعترف بالعقائد الاسلامية التي وقع عليها الاتفاق سوى عدم ثبوت الاخبار في وقوع ذلك على عهده عليه الصلاة والسلام عنده، ومنشأ ذلك القصور التام والتمسك بشبهه هي على طرف التمام، ومع هذا لا يكفر المنكر بناءً على عدم الاتفاق على تواتر ذلك وعدم كون الآية نصاً فيه، والاخراج من الدين أمر عظيم فيحتاج فيه ما لا يحتاج في غيره والله تعالى الموفق.

والظاهر أن المراد باقتراب الساعة القرب الشديد الزماني، وكل آت قريب، وزمان العالم مديد، والباقي بالنسبة إلى الماضي شئ يسير، ومال الامام إلى ان المراد به قربها في العقول والاذهان، وحاصله أنها ممكنة إمكاناً قريباً لا ينبغي لاحد إنكارها، واستعمال الاقتراب مع أنه أمر مقطوع به كاستعمال (لعل) في قوله تعالى: (لعل الساعة تكون قريباً) مع أن الامر معلوم عند الله تعالى وانشقاق القمر آية ظاهرة على هذا القرب، وعلى الاول قيل: هو آية لاصل الامكان الذي يقتضيه قرب الوقوع، وقيل: هو آية لقرب الوقوع ومعجزة للنبي ﷺ باعتبار أن الله تعالى مخبر في كتبه السالفة بأنه إذا قربت الساعة انشق القمر ومعجزة وكلاهما كما ترى، واختار بعضهم أنه آية لصدق النبي عليه الصلاة والسلام في جميع ما يقول ويبلغ ربه سبحانه لانه معجزة له ﷺ ومنه دعوى الرسالة والاخبار باقتراب الساعة وغير ذلك، و(آية) نكرة في سياق الشرط فتعم، فالمعنى (وإن يروا كل آية يعرضوا) عن التأمل فيها ليقفوا على وجه دلالتها وعلو طبقتها ﴿ وَيَقُولُوا سَحْرٌ ﴾ أي هذا أو هو أي ما نراه سحر ﴿ مُسْتَمِرٌّ ٢ ﴾ أي مطرد دائم يأتي به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم على مر الزمان وهو ظاهر في ترادف الآيات وتتابع المعجزات.

وقال أبو العالية: والضحاك: (مستمر) محكم موثق من المرة بالفتح أو الكسر بمعنى القوة وهو في الأصل مصدر مررت الحبل مرة إذا قتلته فتلا محكما فأريد به مطلق المحكم مجازاً مرسلًا، وقال أنس. ويमान. ومجاهد. والكسائي. والفراء. واختاره النحاس. مستمر أي ما ز داهب زائل عن قريب عللوا بذلك أنفسهم ومنوها بالاماني الفارغة كأنهم قالوا: إن حاله عليه الصلاة والسلام وما ظهر من معجزاته سبحانه.

• سحابة صيف عن قريب تقشع • (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) وقيل: (مستمر) مشتد المرارة أي مستبشع عندنا منفور عنه لشدة مرارته يقال: مز الشئ وأمز إذا صار مزاً وأمز غيره ومزّه يكون لازماً ومتعدياً، وقيل: (مستمر) يشبه بعضه بعضاً أي استمرت أفعاله على هذا الوجه من التخيلات، وقيل: (مستمر) مار من الأرض إلى السماء أي بلغ من سحره أنه سحر القمر وهذا ليس بشئ، ولعل الأنسب

بغلوم في العناد والمكابرة ماروى عن أنس ومن معه ، وقرئ - وأن يروا - بالبناء للفعول من الإراءة ﴿وَكَذَّبُوا﴾ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبما أظهره الله تعالى على يدهم من الآيات ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ التي زينها الشيطان لهم ، وقيل : (كذبوا) الآية التي هي انشقاق القمر (واتبعوا أهواءهم) وقالوا سحر القمر أو سحرت أعيننا والقمر بحاله ، والعطف على الجزاء السابق وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق ، وقيل : العطف على (اقتربت) والجملة الشرطية اعتراض لبيان عادتهم إذا شاهدوا الآيات ، وقوله تعالى : ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ استئناف مسوق للرد على الكفار في تكذيبهم ببيان أنه لا فائدة لهم فيه ولا يمنع علو شأنه صلى الله تعالى عليه وسلم ، أو لإقناطهم عما علقوا به أمانهم الفارغة من عدم استقرار أمره عليه الصلاة والسلام حسبما قالوا : (سحر مستمر) ببيان ثبوته ورسوخه أى وكل أمر من الامور منته إلى غاية يستقر عليها الاحالة ومن جملتها أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسيصير إلى غاية يتبين عندها حقيقته وعلو شأنه ، وللإشارة إلى ظهور هذه الغاية لأمره عليه الصلاة والسلام لم يصرح بالمستقر عليه ، وفي الكشف أى كل أمر لا بد أن يصير إلى غاية يستقر عليها وأن أمره ﷺ سيصير إلى غاية يتبين عندها أنه حق أو باطل وسيظهر له عاقبتهم أو وكل أمر من أمره عليه الصلاة والسلام ، وأمرهم مستقر أى سيثبت ويستقر على حالة نصرة أو خذلان في الدنيا أو سعادة وشقاوة في الآخرة ، قال في الكشف : والكلام على الاول تذييل جار مجرى المثل وعلى الثانى تذييل غير مستقل ، وقرأ شيبه (مستقر) بفتح القاف ورويت عن نافع ، وزعم أبو حاتم أنها لا وجه لها وخرجت على أن مستقراً مصدر بمعنى استقرار ، وحمله على كل أمر بتقدير مضاف أى ذو مستقر ولو لم يقدر وقصد المبالغة صح ، وجوز كونه اسم زمان أو مكان بتقدير مضاف أيضاً أى ذو زمان استقرار ، أو ذو موضع استقرار ، وتعقب بأن كون كل أمر لا بد له من زمان أو مكان أمر معلوم لا فائدة في الاخبار به ، وأجيب بأن فيه إثبات الاستقرار له بطريق الكناية وهى أبلغ من التصريح وقرأ زيد بن على (مستقر) بكسر القاف والجر ، وخرج على أنه صفة أمر وأن كل معطوف على الساعة أى اقتربت الساعة ، واقترب كل أمر يستقر ويتبين حاله أى بقربها ، قال في الكشف : وفيه شمة من التجريد وتهويل عظيم حيث جعل في اقترابها اقتراب كل أمر يكون له قرار وتبين حاله ما له وقع ، وقوله تعالى : (وانشق القمر) على هذا إما على تقدير قد وينصره القراءة بها ، وإما منزل منزلة الإعراض لكونه مؤكداً لقرب الساعة ، وقوله سبحانه : (وإن يروا آية) الخ مستطرد عند ذكر انشقاق القمر *

واعترض ذلك أبو حيان بأنه بعيد . لكثرة الفواصل بين المعطوف والمعطوف عليه وجعل الكلام عليه نظير - أكلت خبزاً ، وضربت خالداً ، وإن يحمي زيد أكرمه ، ورحل إلى بنى فلان ، ولجأ بعطف - لجأ على خبزاً - ثم قال بل لا يوجد مثله في كلام العرب ، وتعقب بأنه ليس بشئ لأنه إذا دل على العطف الدليل لا يعد ذلك مانعاً منه على أن بين الآية والمثال فرقاً لا يخفى ، وقال صاحب اللوامح إن (مستقر) خبر كل ، والجر للجوار ، واعتراض - أبو حيان أيضاً بأنه ليس بجيد لأن الجر على الجوار في غاية الشذوذ في مثله إذ لم يعهد في خبر المبتدأ ، وإنما عهد في الصفة على اختلاف النحاة في وجوده ، واستظهر كون كل مبتدأ وخبره مقدر كآت ، أو معمول به ونحوه مما يشعر به الكلام أو مذكور بعد وهو قوله تعالى : (حكمة بالغة) وقد اعترض بينهما بقوله سبحانه : ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ في القرآن ﴿مِّنَ الْأَنْبَاءِ﴾ أى أخبار القرون الخالية . أو أخبار الآخرة ، والجار والمجرور

في موضع الحال من ما في قوله عز وجل : ﴿ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾ قدم عليه رعاية للفاصلة وتوقيفاً إليه (من) للتبعيض ، أو للتبيين بناءً على المختار من جواز تقديمه على المبين ، قال الرضى : إنما جاز تقديم (من) المبينة على المبهم في نحو - عندى من المال ما يكفى - لانه في الاصل صفة لمقدر أى شئ من المال ، والمذكور عطف بيان للبين المقدر قبلها ليحصل البيان بعد الابهام أى بالله لقد جاءهم كائناً من الانباء ما فيه ازدجار لهم ومنع عما هم فيه من القبائح ، أو موضع ازدجار ومنع ، وهى أنباء التعذيب ، أو أنباء الوعيد ، وأصل (مزدجر) مزجر بالناء موضع الدال ونام الافتعال تغلب دال المع الدال والذال والراء للتناسب ، وقرئ مزجر بقلبها زايًا وإدغام الزاي فيها ، وقرأ زيد بن على مزجر اسم فاعل من أجزأ أى صار ذازجر كأعشب صار ذاعشب ﴿ حَكْمَةٌ بَلَّغَةٌ ﴾ أى واصله غاية الإحكام لا خلل فيها ، ورفع (حكمة) على أنها بدل كل ، أو اشتمال من (ما) ، وقيل : من (مزدجر) أو خبر مبتدأ محذوف أى هى ، أو هذه على أن الإشارة لما يشعر به الكلام من إرسال الرسل وإيضاح الدليل والانذار لمن مضى ، أو إلى ما في الأنباء ، أو إلى الساعة المقتربة ، والآية الدالة عليها - كما قاله الامام وتقدم نقا - احتمال كونها خبراً عن كل في قراءة زيد ، وقرأ اليماني (حكمة بالغة) بالنصب حالاً من (ما) فانها موصولة أو نكرة موصوفة ، ويجوز مجئ الحال منها مع تأخرها أو هو بتقدير أغنى *

﴿ قَا تُغْنِ التُّذْرُ ه ﴾ نفى للاغناء أو استفهام إنكارى والفاء لترتيب عدم الإغناء على مجئ الحكمة البالغة مع كونه مظنة للإغناء وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار ، و(ما) على الوجه الثانى فى محل نصب على أنها مفعول مطلق أى فأى إغناء تغنى النذر ، وجوز أن تكون فى محل رفع على الابتداء ، والجملة بعدها خبر ، والعائد مقدر أى فما تغنيه النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر ، وجوز أن يكون جمع نذير بمعنى الانذار ، وتعقب بأن حق المصدر أن لا يثنى ولا يجمع وأن يكون مصدرأ كالانذار ، وتعقب بأنه يأباه تأنيث الفعل المسند اليه وكونه باعتبار أنه بمعنى النذارة لا يخفى حاله ﴿ قَتُولٌ عَنْهُمْ ﴾ الفاء للسببية والمسبب التولى أو الامر به والسبب عدم الاغناء أو العلم به ، والمراد بالتولى إما عدم القتال ، فالآية منسوخة ، وإما ترك الجدال للجلاد فهى محكمة ، والظاهر الأول ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ ﴾ ظرف - ليخرجون - أو مفعول به لا ذكر مقدرأ ، وقيل : لا تنتظر ، وجوز أن يكون ظرفاً لتغنى ، أو مستقر وما بينهما اعتراض ، أو ظرفاً - ليقول الكافر - أو - لتول - أى تول عن الشفاعة لهم يوم القيامة ، أو هو معمول له بتقدير إلى ، وعليه قول الحسن - قتل عنهم إلى يوم - *

والمراد استمرار التولى والكل كما ترى ، والداعى إسرائيل عليه السلام ، وقيل : جبرائيل عليه السلام ، وقيل : ملك غيرهما موطن بذلك ، وجوز أن يكون الدعاء للاعادة فى ذلك اليوم كالامر فى (كن فيكون) على القول بأنه تمثيل ، فالداعى حينئذ هو الله عز وجل ، وحذفت الواو من (يدع) لفظاً لالتقاء الساكنين ورسمياً اتباعاً للفظ ، والياء من (الداع) تخفيفاً ، وإجراء لال مجرى التنوين لأنها تعاقبه ، والشئ يحمل على ضده كما يحمل على نظيره ﴿ إِلَى شَيْءٍ تُنْكِرُ ﴾ أى فظيع تنكره النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول القيامة ويكنى بالنكر عن الفظيع لانه فى الغالب منكر غير معهود ، وجوز أن يكون من الإنكار ضد الإقرار وأياً كان فهو وصف على فعل بضمين وهو قليل فى الصفات ، ومنه - روضة أنف لم ترع ، ورجل شلل خفيف فى الحاجة سريع حسن الصحبة

طيب النفس ، وسجع لين سهل - وقرأ الحسن . وابن كثير . وشبل (نكر) يأسكان الكاف كما قالوا : شغل وشغل ، وعسر وعسر وهو إسكان تخفيف ، أو السكون هو الاصل والضم للاتباع ، وقرأ مجاهد . وأبو قلابة . والجدري . وزيد بن علي (نكر) فعلا ماضياً مبنياً للمفعول بمعنى أنكر (خُشِباً أَبْصَارُهُمْ) حال من فاعل (يَخْرُجُونَ) أي يخرجون (من الْأَجْدَاثِ) أي القبور أذلة أبصارهم من شدة الهول أي أذلاء من ذلك ، وقدم الحال لتصرف العامل والاهتمام ، وفيه دليل على بطلان مذهب الجرمي من عدم تجويز تقدم الحال على الفعل وإن كان متصرفاً ، ويرده أيضاً قولهم : شتى تؤب الحلبة ، وقوله :

سريعاً يهون الصعب عند ألى النهي إذا بز جاء صادق قابلاً البأسا

وجعل حالاً من ذلك لقوله تعالى : (يوم يخرجون من الاجداث سرعاً) إلى قوله تعالى : (خاشعاً أبصارهم) ، وقيل : هو حال من الضمير المفعول المحذوف في (يدع الداع) أي يدعوهم الداع ؛ وتعقب بأنه لا يطابق المنزل وأيضاً يصير حالاً مقدرة لأن الدعاء ليس حال خشوع البصر وليست في الكثرة كغيرها وكذلك جعله مفعول - يدعو - على معنى يدعو فريقاً خاشعاً أبصارهم أي سيخشع وإن كان هذا أقرب مما قبل ، وقيل : هو حال من الضمير المجرور في قوله تعالى : (فتولى عنهم) وفيه ما لا يخفى ، وأبصارهم فاعل خشعاً وطابقه الوصف في الجمع لأنه إذا كسر لم يشبه الفعل لفظاً فتحسن فيه المطابقة وهذا بخلاف ما إذا جمع جمع مذ كرسالم فإنه لم يتغيرزته وشبهه للفعل فينبغي أن لا يجمع إذا رفع الظاهر المجموع على اللغة الفصيحة دون لغة أكلوني البراغيث ، لكن الجمع حيثئذ في الاسم أخف منه في الفعل كما قال الرضي ، ووجه ظاهر ، وفي التسهيل إذا رفعت الصفة اسماً ظاهراً مجموعاً فإن أمكن تكسيرها - كمررت برجل (قيام) غلبانه - فهو أولى من إفرادها - كمررت برجل (قائم) غلبانه - وهذا قول المبرد ومن تبعه والسمع شاهد له كقوله :

وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أسي وتجملي

وقوله : بمطرد لدن صحاح كموبه وذى روق غضب يقدا القوانسا

وقال الجمهور : الافراد أولى والقياس معهم ، وعليه قوله :

ورجال حسن أوجههم من زياد بن نزار بن معد

وقيل : إن تبع مفرداً فالافراد أولى - كرجل (قائم) غلبانه - وإن تبع جمعاً فالجمع أولى - كرجال قيام غلبانهم -

وأما التثنية والجمع السالم فعلى لغة أكلوني البراغيث ؛ وجوز أن يكون في (خشعاً) ضمير مستتر ، و (أبصارهم) بدلاً منه ، وقرأ ابن عباس . وابن جبير . ومجاهد . والجدري . وأبو عمرو . وحزرة . والكسائي - خاشعاً - بالافراد ، وقرأ أبي . وابن مسعود - خاشعة - وقرئ - خشع - على أنه خبر مقدم ، و (أبصارهم) مبتدأ ، والجملة في موضع الحال ، وقوله تعالى : (كَانَهُمْ جُرَادٌ مُنْتَشِرٌ ۖ) حال أيضاً وتشبيههم بالجراد المنتشر في الكثرة والتوج والانتشار في الاقطار ، وجاء تشبيههم بالفراش المبثوث ولهم يوم الخروج سهم من الشبه لكل ، وقيل : يكونون أولاً كالفراش حين يمجون فزعين لا يهتدون أين يتوجهون لان الفراش لاجهة لها تقصدها ، ثم كالجوار المحشر إذا توجهوا إلى المحشر فهما تشبيهان باعتبار وقتين ، وحكى ذلك عن مكى بن أبى طالب •

(مَهْطِينَ إِلَى الدَّاعِ) سرعين اليه قال أبو عبيدة : وزاد بعضهم ما ذى أعناقهم ، وآخر مع هز ورهق ومد بصر ،

وقال عكرمة : فاتحين آذانهم إلى الصوت ، وعن ابن عباس ناظرين إليه لا تتقلع أبصارهم عنه وأنشد قول تبع :
تعبدني نمر بن سعد وقد أرى ونمر بن سعد لي (مطيع ومهطع)

وفي رواية أنه فسرهم بخاضعين وأنشد البيت ، وقيل : خافضين ما بين أعينهم ، وقال سفيان : شاخصة أبصارهم إلى السماء ، وقيل : أصل الهطاع مد العنق ، أو مد البصر ، ثم يكتفى به عن الاسراع ، أو عن النظر والتأمل فلا تغفل ،
(يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسْرٌ ۖ) صعب شديد لما يشاهدون من مخايل هوله وما يرتقبون من سوء

منقلبهم فيه ، وفي إسناد القول المذكور إلى الكفار تلويح بأنه على المؤمنين ليس كذلك (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ)
شروع في تعداد بعض ماذكر من الأنبياء الموجبة للازدجار ، ونوع تفصيل لها ويان لعدم تأثيرهم بها تقريراً
لفحوى قوله تعالى : (فما تغني النذر) والفعل منزل منزلة اللازم أي فعلت التكذيب قبل تكذيب قومك قوم

نوح ، وقوله تعالى : (فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا) تفسير لذلك التكذيب المهم كما في قوله تعالى : (ونادى نوح ربه فقال)
الخ ، وفيه مزيد تحقيق وتقرير للتكذيب ، وجوز أن يكون المعنى كذبوا تكذيباً إثر تكذيب كلما خلا منهم
قرن مكذب جاء عقيبه قرن آخر مكذب مثله ، أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا أي لما كانوا مكذبين
لرسل جاحدين للنبوّة رأساً كذبوا نوحاً حالاً أنه من جملة الرسل ، والفاء عليه سببية ، وقيل : معنى كذبت قصدت
التكذيب وابتدأته ، ومعنى فكذبوا أتموه وبلغوا نهايته كما قيل في قوله : قد جبر الدين الإله فجبر . وفي ذكره
عليه السلام بعنوان العبودية مع الإضافة إلى نون العظمة تفخيم له عليه السلام ورفع لمحله وتشنيع لمكذبيه .

(وَقَالُوا بَجْنُونَ) أي لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه إلى الجنون فقالوا هو مجنون (وَأَزْدَجَرَ ۙ)
عطف على - قالوا - وهو إخبار منه عز وجل أي وزجر عن التبليغ بأنواع الأذية والتخويف قاله ابن زيد ،
وقرأ (لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين) وقال مجاهد : هو من تمام قولهم أي هو مجنون ، وقد ازدجرته
الجن وذهبت بلبه وتخبطته ، والأول أظهر وأبلغ ، وجعل مبنياً للمفعول لغرض الفاصلة ، وطهر الالسنه عن
ذكرهم دلالة على أن فعلهم أسوأ من قولهم (فَدَعَا رَبَّهُ أَتَى) أي باني *

وقرأ ابن أبي إسحق . وعيسى . والأعمش . وزيد بن علي . ورويت عن عاصم - (إني) بكسر الهمزة على
إضمار القول عند البصريين ، وعلى إجراء الدعاء مجرى القول عند الكوفيين (مَغْلُوبٌ) من جهة قومي مالى
قدرة على الانتقام منهم (فَأَتَصَرُّ ۙ) فاتتقم لي منهم ، وقيل : فاتتصر لنفسك إذ كذبوا رسولك ، وقيل :
المراد - بمغلوب - غلبتني نفسى حتى دعوت عليهم بالهلاك وهو خلاف الظاهر وما دعا عليه السلام عليهم إلا
بعد اليأس من إيمانهم ، والتأكيد لمزيد الاعتناء بأمر الترحم المقصود من الاخبار .

(فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمَرٍ ۙ) أي منصب ، وقيل : كثير قال الشاعر :

أعيناى جوداً بالدموع (الهوامر) على خير باد من معد وحاضر

والباء للآلة مثلها في فتحت الباب بالمفتاح ، وجوز أن تكون للبلاسة والاول أبلغ ، وفي الكلام استعارة
تمثيلية بتشبيه تدفق المطر من السحاب بانصباب أنهار انفتحت بها أبواب السماء وانشق أديم الخضراء . وهو
الذى ذهب إليه الجمهور ، وذهب قوم إلى أنه على حقيقته وهو ظاهر كلام ابن عباس *

أخرج ابن المنذر . وابن أبي حاتم عنه أنه قال : لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده إلا من السحاب ، وفتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم فالتقى الماء آن ، وفي رواية لم تقلم أربعين يوماً ، وعن النقاش أنه أريد بالأبواب المجرة وهي شرج السماء كشرج العيبة ، والمعروف من الارصاد أن المجرة كواكب صغار متقاربة جداً ، والله تعالى أعلم .

ومن العجيب أنهم كانوا يطلبون المطر سنين فأهلكهم الله تعالى بمطلوبهم ، وقرأ ابن عامر . وأبو جعفر . والاعرج . ويعقوب (فتحتنا) بالتشديد لكثرة الابواب ، والظاهر أن جمع القلة هنا للكثرة ﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون متفجرة وأصله فجرنا عيون الأرض فغير إلى التمييز للبالغة بجعل الأرض كلها متفجرة مع الإبهام والتفسير ، فالتمييز يحول عن المفعول ، وجعله بعضهم محولا عن الفاعل بناءً على أنه الأكثر ، والأصل انفجرت عيون الأرض وتحويله كما يكون عن فاعل الفعل المذكور ليكون عن فاعل فعل آخر يلاقيه في الاشتقاق - وهذا منه - وهو تكلف لا حاجة إليه ، ومنع بعضهم بحج التمييز من المفعول فأعرب (عيوناً) حالاً مقدرة ، وجوز عليه أن يكون مفعولاً ثانياً لفجرنا على تضمينه ما يتعدى إليه أي صيرنا بالتفجير الأرض عيوناً وكان ذلك على ما في بعض الروايات أربعين يوماً ، وقرأ عبد الله . وأصحابه . وأبو حيوة . والمفضل عن عاصم (فجرنا) بالتخفيف ﴿ فَالتَقَى السَّمَاءُ ﴾ أي ماء السماء وماء الأرض ، والإفراد لتحقيق أن التقاء الماءين لم يكن بطريق المجاورة بل بطريق الاختلاط والاتحاد ، وقرأ على كرم الله تعالى وجهه . والحسن . ومحمد بن كعب . والجاحدري - الماء آن - والثنية لقصد بيان اختلاف النوعين وإلا فالماء شامل لماء السماء وماء الأرض ، ونحوه قوله :

لنا (إبلان) فيهما ما علمتم فعن (أيها) ما شئتم فتسكبوا

وقيل فيها إشارة إلى أن ماء الأرض فار بقوة وارتفع حتى لاقي ماء السماء وفي ذلك مبالغة لا تفهم من الأفراد ، وقرأ الحسن أيضاً - ما وان - بقلب الهمزة واو أو كقولهم: علبا وان كما قال الزمخشري ، ولم يرد أنه نظيره بل أراد كما أن هنالك إبدالاً بـ لا غير أصلية لأنها زائدة للحاق كذلك ههنا لأنها مبدلة والبديل وإن كان من الهاء لكنها أجريت مجرى البديل عن الواو فقليل في النسبة فيه : ماوى ، وجاء في جمعه أمواء كما جاء أمواه ، ولا يبعد أن يكون من ثناه بالواو قاسه على النسبة كذا في الكشف ، وعنه أيضاً المايان بقلب الهمزة ياءاً .

﴿ عَلَى أَمْرٍ قَدَرْتُمْ ﴾ أي كائناتاً على حال قدرها الله تعالى في الازل من غير تفاوت أو على حال قدرت وسويت وهي أن ما نزل على قدر ما خرج .

وقيل : إن ماء الأرض علا سبعة عشر ذراعاً ونزل ماء السماء مكلاً أربعين ، وقيل : ماء الأرض كان أكثر وله مقدار معين عند الله عز وجل ، أو على أمر قدره الله تعالى وكتبه في اللوح المحفوظ وهو هلاك قوم نوح بالطوفان ، ورجحه أبو حيان بأن كل قصة ذكرت بعد ذكر الله تعالى فيها هلاك المكذبين فيكون هذا كناية عن هلاك هؤلاء . (على) عليه للتعليل ، ويحتمل تعلقها بالتقى . وفيه رد على أهل الأحكام النجومية حيث زعموا أن الطوفان لاجتماع الكواكب السبعة ما عدا الزهرة في برج مائى ، وقرأ أبو حيوة . وابن مقسم (قدر) بتشديد الدال ﴿ وَحَمَلْنَاهُ ﴾ أي نوحاً عليه السلام ﴿ عَلَى ذَاتِ الْوَاحِ ﴾ أخشاب عريضة ﴿ وَدُسِّرَ ﴾ أي مسامير كما قاله الجمهور . وابن عباس في رواية ابن جرير ، وابن المنذر جمع دسار ككتاب وكتب ، وقيل :

(دسر) كسقف وسقف. وأصل الدسر الدفع الشديد بقهر فسمى به المسبار لأنه يذق في دفع بشدة. وقيل: حبال من ليف تشد بها السفن. وقال الليث: خيوط تشد بها ألواحها، وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة. والحسن أنها مقادير السفينة وصدرها الذي تضرب به الموج وتدفعه. وروى عن ابن عباس نحوه. وأخرج عن مجاهد أنها عوارض السفينة أي الخشبات التي تعرض في وسطها. وفي رواية عنه هي أضلاع السفينة. وأياً ما كان فقوله تعالى: (ذات ألواح ودسر) من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات على سبيل الكناية كقوله: حتى مستوى القائمة عريض الاظفار في الكناية عن الانسان وهو من فصيح الكلام وبديعه. ونظير الآية قول الشاعر:

مفرشى صهوة الحصان ولكن (قيص) مسرودة من حديد

فانه أراد قيصى درع. وقوله يصف هزال الابل:

تراهي الها في كل عين مقابل ولو في (عيون النازيات بأكرع)

فانه أراد في عيون الجراد لأن النزوبالاً كرج يختص بها. وأما كونه على حذف الموصوف لدلالة الصفة عليه على ما في المفصل وغيره فكلام نحوي ﴿تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا. وكنى به عن الحفظ أي تجري في ذلك الماء بحفظنا وكلائنا، وقيل: بأوليائنا يعني نوحاً عليه السلام ومن آمن معه يقال: مات عين من عيون الله تعالى أي ولى من أوليائه سبحانه، وقيل: بأعين الماء التي فجرناها، وقيل: بالحفظة من الملائكة عليهم السلام سمام أعيناً وأضافهم إليه جل شأنه والاول أظهر، وقرأ زيد بن علي. وأبو السمال - بأعيننا - بالادغام *

﴿جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفَرًا ١٤﴾ أي فعلنا ذلك جزاءً لنوح عليه السلام فانه كان نعمة أنعمها الله تعالى على قومه فكفروها وكذا كل نبي نعمة من الله تعالى على أمته، وجوز أن يكون على حذف الجار وإيصال الفعل إلى الضمير واستتاره في الفعل بعد انقلابه مرفوعاً أي لمن كفر به وهو نوح عليه السلام أيضاً أي جحدت نبوته، فالكفر عليه ضد الايمان، وعلى الاول كفران النعمة، وعن ابن عباس. ومجاهد من يراد به الله تعالى كأنه قيل: غضباً وانتصاراً لله عز وجل وهو كما ترى، وقرأ مسلبة بن محارب - كفر - بإسكان الفاء خفف فعل ثافي قوله: * لو عصر منه البان والمسك (انعصر) * وقرأ يزيد بن رومان بموقنادة. وعيسى (كفر) مبنياً للفاعل

فن يراد بها قوم نوح عليه السلام لا غير، وفي هذه القراءة دليل على وقوع الماضي بغير قد خبراً لكان وهو مذهب البصريين وغيرهم يقول لابد من وقوع قد ظاهرة أو مقدرة، وجوز أن تكون (كان) زائدة كأنه قيل: جزاء لمن (كفر) ولم يؤمن ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا﴾ أي أبقينا السفينة ﴿آيَةً﴾ بناءً على ما روى عن قتادة. والنقاش أنه بقي خشبها على الجودي حتى رآه بعض أوائل هذه الأمة، أو أبقينا خبرها، أو أبقينا جنسها وذلك بإبقاء السفن، أو - تركنا - بمعنى جعلنا، وجوز كون الضمير للفعلة وهي إنجاء نوح عليه السلام ومن معه

وإغراق الكافرين ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكَّرٍ﴾ أي معتبر بتلك الآية الحزبية بالاعتبار، وقرأ قتادة على ما نقل ابن عطية - مذكر - بالذال المعجمة على قلب تاء الاقترال ذالا وإدغام الذال في الذال، وقال صاحب اللوامح: قرأ قتادة فهل من - مذكر - بتشديد الكاف من التذكير أي من يذكر نفسه أو غيره بها، وقرئ مذتكر بذال معجمة بعدها تاء الاقترال وهو الاصل ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ١٥﴾ استفهام تعظيم وتعجيب أي كانا على كيفية هائلة

لا يحيط بها الوصف، والنذر - مصدر كالانذار، وقيل: جمع نذير بمعنى الانذار، وجعله بعضهم بمعنى المنذر منه، وليس بشئ، وكذا جعله بمعنى المنذر، وكان يحتمل أن تكون ناقصة فكيف في موضع الخبر؟ وتامة فكيف في موضع الحال؟ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ﴾ الخ جملة قسمية وردت في آخر القصص الأربع تقريراً لمضمون ما سبق من قوله تعالى: (ولقد جاءهم) الخ وتنبها على أن كل قصة منها مستقلة بايجاب الادكار كافية في الازدجار، ومع ذلك لم يحصل فيها اعتبار، أى وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك بأن أنزلناه على لغتهم وشحناه بأنواع المواعظ والعبر وصرنا فيه من الوعيد والوعد ﴿لِلذِّكْرِ﴾ أى للتذكر والاعتاظ ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ إنكار ونقي للتعطى على أبلغ وجه وآكده يدل على أنه لا يقدر أحد أن يجيب المستفهم بنعم، وقيل: المعنى سهلنا القرآن للحفظ لما اشتمل عليه من حسن النظم وسلاسة اللفظ وشرف المعاني وصحتها وعروقه عز الوحشى ونحوه فله تعلق بالقلوب وحلاوة في السمع فهل من طالب لحفظه ليعان عليه؟ ومن هنا قال ابن جبير: لم يستظهر شئ من الكتب الا لسهولة غير القرآن، وأخرج ابن المنذر: وجماعة عن مجاهد أنه قال: يسرنا القرآن هونا قراءته.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس لولا أن الله تعالى يسره على لسان آدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله تعالى.

وأخرج الديلمي عن أنس مرفوعاً مثله * وأخرج ابن المنذر عن ابن سيرين أنه من رجل يقول سورة خفيفة فقال: لا تقل ذلك ولكن قل سورة يسيرة لأن الله تعالى يقول: (ولقد يسرنا القرآن للذكر) والمعنى الذى ذكر أولاً أنسب بالمقام، ولعل خبر أنس إن صح ليس تفسيراً للآية، وجوز تفسير (يسرنا) بهيأنا من قوله: يسر ناقته للسفر إذا رحلها، ويسر فرسه للغزو إذا أسرجه وأجلجه قال الشاعر:

وقت إليه باللجام (ميسراً) هنالك يجزىنى الذى كنت أصنع

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ شروع في قصة أخرى ولم تعطف وكذا ما بعدها من القصص إشارة إلى أن كل قصة مستقلة في القصد والاعتاظ ولما لم يكن لقوم نوح اسم علم ذكروا بعنوان الإضافة ولما كان لقوم هود علم وهو (عاد) ذكروا به لأنه أبلغ في التعريف، والمراد كذبت عاد هوداً عليه السلام ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له عليه السلام روما للاختصار ومسارة إلى بيان ما فيه الازدجار من العذاب، وقوله:

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ لتوجيه قلوب السامعين نحو الإصغاء إلى ما يلقى اليهم قبل ذكره لالتحويله وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعد بيانه ما قبله وما بعده كأنه قيل: (كذبت عاد) فهل سمعتم، أو فاسمعوا كيف عذابى وإنذارى لهم، وقيل: هو للتحويل أيضاً لغرابة ما عذبوا به من الريح وانفراد هذا النوع من العذاب، وفيه بحث، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً﴾ استئناف لبيان ما أجمل أولاً، والصرصر الباردة على ما روى عن ابن عباس. وقتادة. والضحاك، وقيل: شديدة الصوت وتما الكلام قد مر في (فصلت) *

﴿فِي يَوْمٍ نَحْسٍ﴾ شؤم عليهم ﴿مُسْتَمِرّاً ١٩﴾ ذلك الشؤم لأنهم بعد أن أهلكوا لم يزالوا معذبين في البرزخ حتى يدخلوا جهنم يوم القيامة، والمراد باليوم مطلق الزمان لقوله تعالى: (فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات)، وقوله سبحانه: (سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً) والمشهور أنه يوم الاربعاء

وكان آخر سؤال على معنى أن ابتداء إرسال الريح كان فيه فلا ينافي آيتي (فصلت . والحاقة) .
وجوز كون (مستمر) صفة يوم أى في يوم استمر عليهم حتى أهلكهم ، أو شمل كبيرهم وصغيرهم حتى لم يتبق
منهم نسمة على أن الاستمرار بحسب الزمان أو بحسب الأشخاص والافراد لكن على الاول لا بد من تجوز
يارادة استمرار نحسه ، أو يجعل اليوم بمعنى مطلق الزمان لأن اليوم الواحد لم يستمر فتدبر ، وجوز كون (مستمر)
بمعنى محكم وكونه بمعنى شديد المرارة وهو مجاز عن بشاعته وشدة هوله إذ لا طعم له ، وجوز كونه بدلا ،
أو عطف بيان وهو كما ترى ، وقرأ الحسن (يوم نحس) بتنوين يوم وكسر حاء نحس ، وجعله صفة ليوم فیتعين
كون (مستمر) صفة ثانية له ، وأيد بعضهم بالآية ما أخرجه وكيع في الغرر . وابن مردويه . والخطيب البغدادي
عن ابن عباس مرفوعا آخر أربعا في الشهر يوم نحس مستمر وأخذ بذلك كثير من الناس فطيطروا منه وتركوا
السعي لمصالحهم فيه ويقولون له : أربعا لا تدور ، وعليه قوله :

لقاؤك للبكر فال سوء ووجهك - أربعا لا تدور -

وذلك مما لا ينبغي ، والحديث المذكور في سنده مسلبة بن الصلت قال أبو حاتم : متروك ، وجزم ابن الجوزي
بوضعه ؛ وقال ابن رجب : حديث لا يصح ورفعه غير متفق عليه فقد رواه الطيوري من طريق آخر موقوفا على ابن عباس ،
وقال السخاوي : طريقه كلها واهية ، وضعفوا أيضا خبر الطبراني يوم الاربعاء يوم نحس مستمر ، والآية قد علمت
معناها ، وجاء في الأخبار والآثار ما يشعر بمدحه ففى منهاج الحليمي ، وشعب البيهقي أن الدعاء يستجاب يوم
الاربعاء بعيد الزوال ، وذكر برهان الاسلام في تعليم المتعلم عن صاحب الهداية أنه ما بدىء شئ يوم الاربعاء
إلا وتم وهو يوم خلق الله تعالى فيه النور فلذلك كان جمع من المشايخ يتحرون ابتداء الجلوس للتدريس فيه ،
وامتحب بعضهم غرس الاشجار فيه لخبر ابن حبان . والدليل عن جابر مرفوعا «من غرس الاشجار يوم الاربعاء
وقال : سبحان الباعث الوارث أتته أكلها » نعم جاءت أخبار وآثار تشعر بخلاف ذلك ، ففى الفردوس عن عائشة
مرفوعا « لولا أن تكره أمتي لأمرتها أن لا يسافروا يوم الاربعاء . وأحب الايام إلى الشيوخ فيها يوم الخميس »
وهو غير معلوم الصحة عندى *

وأخرج أبو يعلى عن ابن عباس . وابن عدى . وتمام فى فوائده عن أبى سعيد مرفوعا يوم السبت يوم مكر وخديعة .
ويوم الاحد يوم غرس وبناء . ويوم الاثنين يوم سفر وطلب رزق . ويوم الثلاثاء يوم حديد وبأس . ويوم
الاربعاء لا أخذ ولا عطاء . ويوم الخميس يوم طلب الحوائج والدخول على السلطان . والجمعة يوم خطبة ونكاح ،
وتعقبه السخاوى بأن سنده ضعيف ، وروى ابن ماجه عن ابن عمر مرفوعا ، وخرجه الحاكم من طريقين آخرين
« لا يبدو جذام ولا برص إلا يوم الاربعاء » وفى بعض الآثار النهى عن قص الاظفار يوم الاربعاء وأنه يورث
البرص ، وكره بعضهم عيادة المرضى فيه ، وعليه قيل :

لم يؤت فى الأربعا مريض إلا دفن - اه فى الخميس

وحكى عن بعضهم أنه قال لآخيه : أخرج معى فى حاجة فقال : هو الاربعاء قال : فيه ولد يونس قال : لا جرم
قد بانت له بركتة فى اتساع موضعه وحسن كسوته حتى خلاصه الله تعالى قال : وفيه ولد يوسف عليه السلام
قال : فما أحسن ما فعل أخوته حتى طال حبسه وغرته قال : وفيه نصر المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم يوم
الاحزاب قال : أجل لكن - بعد أن زاغت الابصار ، وبلغت القلوب الحناجر - ونقل المناوى عن البحران

أخباره عليه الصلاة والسلام عن نحوسة آخر أربعاء في الشهر من باب التطير ضرورة أنه ليس من الدين بل فعل الجاهلية ولا مبنى على قول المنجمين أنه يوم عطار وهو نحس مع النحوس سعد مع السعد وفاته قول باطل، ويجوز أن يكون من باب التخويف والتحذير أي احذروا ذلك اليوم لما نزل فيه من العذاب وكان فيه من الهلاك وجددوا فيه لله تعالى توبة خوفاً أن يلحقكم فيه بؤس كما وقع لمن قبلهم، وهذا كما قال حين أتى الحجر: لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين إلا أن تكونوا باكين إلى غير ذلك، وحكى أيضاً عن بعضهم أنه قال: التطير مكروه كراهية شرعية إلا أن الشرع أباح لمن أصابه في آخر أربعاء شيء في مصالحه أن يدع التصرف فيه لأعلى جهة التطير واعتقاد أنه يضر أو ينفع بغير إذن الله تعالى بل على جهة اعتقاد إباحة الإمساك فيه لما كرهته النفس لا اقتفاءً للتطير ولكن إثباتاً للرخصة في التوقي فيه لمن يشاء مع وجوب اعتقاد أن شيئاً لا يضر شيئاً، ونقل عن الحلبي أنه قال: علمنا ببيان الشريعة أن من الأيام نحساً، ويقابل النحس السعد وإذا ثبت الأول ثبت الثاني أيضاً، فالأيام منها نحس ومنها سعد كالأشخاص منهم شقي ومنهم سعيد، لكن زعم أن الأيام والكواكب تنحس أو تسعد باختيارها أوقافاً وأشخاصاً باطل، والقول - إن الكواكب قد تكون أسباباً للحسن والقيح والخير والشر والكل فعل الله تعالى وحده - بما لا بأس به، ثم قال المناوي: والحاصل أن توقي الأربعاء على جهة الطيرة وظن اعتقاد المنجمين حرام شديد التحريم إذ الأيام كلها لله تعالى لا تنفع ولا تضر بذاتها وبدون ذلك لا ضير ولا محذور فيه؛ ومن تطير حاقت به نحوسته، ومن أيقن بأنه لا يضر ولا ينفع إلا الله عز وجل لم يؤثر فيه شيء من ذلك كما قيل:

تعلم أنه لا طير إلا على (متطير) وهو الشبور

انتهى، وأقول كل الأيام سواء ولا اختصاص لذلك يوم الأربعاء وما من ساعة من الساعات إلا وهي سعد على شخص نحس على آخر باعتبار ما يحدث الله تعالى فيها من الملائم والمنافر والخير والشر، فكل يوم من الأيام يتصف بالامرئين لاختلاف الاعتبار وإن استنحس يوم الأربعاء لوقوع حادث فيه فليستنحس كل يوم فما أوج الليل في النهار والنهار في الليل إلا لا يلاذ الحوادث، وقد قيل:

ألا إنما الأيام أبناء واحد وهذي الليالي كلها أخوات

وقد حكى أنه صبح ثمود العذاب يوم الأحد، وورد في الأثر ولا أظنه يصح - نعوذ بالله تعالى من يوم الأحد فان له حداً أحد من السيف - ولو صح فلعله في أحد مخصوص علم بالوحي ما يحدث فيه، وزعم بعضهم - أن من المجرب الذي لم يخط قط أنه متى كان اليوم الرابع عشر من الشهر القمري الأحد وفعل فيه شيء لم يتم - غير مسلم، وورد في الفردوس من حديث ابن مسعود - خلق الله تعالى الأمراض يوم الثلاثاء، وفيه أنزل إبليس إلى الأرض، وفيه خلق جهنم، وفيه سلب الله تعالى ملك الموت على أرواح بني آدم. وفيه قتل قابيل هابيل، وفيه توفي موسى وهرون عليهم السلام، وفيه ابتلى أيوب - الحديث، وهو إن صح لا يدل على نحوسته غاية أنه وقع فيه ما وقع وقد وقع فيه غير ذلك مما هو خير، ففي رواية مسلم - خلق المنفق أي ما يقوم به المعاش يوم الثلاثاء - وإذا تتبعنا التواريخ وقفت على حوادث عظيمة في سائر الأيام، ويكفي في هذا الباب أن حادثاً عاد استوعبت أيام الأسبوع فقد قال سبحانه: (سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً) فان كانت النحوسة لذلك فقل لي أي يوم من الأسبوع خلا منها؟ ومثل أمر النحوسة فيما أرى أمر تخصيص كل يوم بعمل كما

يزعمه كثير من الناس ، ويذكرون في ذلك أيانا نسبها الحافظ الديماطي لعلّ كرم الله تعالى وجهه وهي

فنعم اليوم (يوم السبت) حقاً لصيد إن أردت بلا امتراء
وفي (الاحد) البناء لان فيه تبدى الله في خلق السماء
وفي (الاثنين) إن سافرت فيه سترجع بالنجاح وبالثناء
ومن يرد الحجامة (فالثلاثا) ففي ساعاته هرق الدماء
وإن شرب امرؤ يوماً دواءً فنعم اليوم يوم (الاربعاء)
وفي (يوم الخميس) قضاء حاج فان الله يأذن بالقضاء
وفي (الجمعات) تزويج وعرس ولذات الرجال مع النساء
وهذا العلم لا يدره إلا نبي أو وصي الانبياء

ولا أظنها تصح ، وقصارى ما أقول: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا دخل في ذلك لوقت ولا لغيره، نعم لبعض الاوقات شرف لا ينكر كيوم الجمعة وشهر رمضان وغير ذلك ، ولبعضها عكس ذلك كالأوقات التي تكره فيها الصلاة لكن هذا أمر ومحل النزاع أمر فاحفظ ذاك ، والله تعالى يتولى هداك ، وقوله تعالى :

﴿ تَنْزَعُ النَّاسَ ﴾ يجوز أن يكون صفة الريح وأن يكون حالاً منها لأنها وصفت فقربت من المعرفة ، وجوز أن يكون مستأنفاً، وجئ - بالناس - دون ضمير عادي: ليشمل ذكورهم وإنايتهم - والنزع - القلع، روى أنهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فقلعتهم الريح وصرعتهم موتى *

﴿ كَانَهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مَنْقَعَرٍ ٢٠ ﴾ أى منقلع عن مغارسه ساقط على الارض ، وقيل: شبهوا بأعجاز النخل وهي أصولها بلا فروع لأن الريح كانت تطلع رموسهم فتبقى أجساداً وجشاً بلا رموس ، ويزيد هذا التشبيه حسناً أنهم كانوا ذوى جثث عظام طوال ، والنخل اسم جنس يذكر نظراً للفظ كاهنا ويؤنث نظراً للمعنى كما في قوله تعالى: (أعجاز نخل خاوية) واعتبار كل في كل من الموضعين للفاصلة والجملة التشبيهية حال من الناس وهي حال مقدرة ، وقال الطبري: في الكلام حذف والتقدير فتركهم كأنهم النخ ، فالكاف على ما في البحر في موضع نصب بالمحذوف وليس بذاك ، وقرأ أبو نبيك أعجز على وزن أفعل نحو ضبع وأضبع ، وقوله تعالى :

﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ٢١ ﴾ تهويل لهما وتعجيب من أمرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار مع ما تقدم، وقيل: إن الأول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحق بهم في الآخرة، و(كان) للشاكلة، أو للدلالة على تحقيقه على عادته سبحانه في إخباره ، وتعقب بأنه يأباه ترتيب الثاني على العذاب الديوى *

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ٢٢ ﴾ الكلام فيه كالذي مر ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ٢٣ ﴾ بالرسول عليهم الصلاة والسلام فان تكذيب أحدهم وهو صالح عليه السلام هنا تكذيب للكل لا تفاهمهم على أصول الشرائع ، وجوز أن يكون مصدراً ، أو جماعاً وأن يكون جمع نذير بمعنى المنذر منه فلا تغفل *

﴿ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِثَّا ﴾ أى كائناً من جنسنا على أن الجار والمجرور في موضع الصفة - لبشراً - واتصابه بفعل يفسره - تتبع - بعد أى أتبع بشراً ﴿ وَاحِدًا ﴾ أى منفرداً لا تبعه ، أو واحداً من آحادهم لا من أشرافهم كما يفهم من التفسير

الدال على عدم التعيين وهو صفة أخرى لبشر وتأخيره مع إفراده عن الصفة الأولى مع كونها شبه الجملة للتنبيه على أن كلا من الجنسية والوحدة بما ينم عن الاتباع ولو قدم عليها لفات هذا التنبيه ، وقرأ أبو السمال فيما ذكر الهذلي في كتابه السكامل وأبو عمرو الداني - أبشر منا واحدا - برفعهما على أن - بشر - مبتدأ ، وما بعد صفته ، وقوله تعالى : ﴿ تَبِعْهُ ﴾ خبره . ونقل ابن خالويه . وصاحب اللوامح . وابن عطية عن أبي السمال رفع - بشر - ونصب (واحداً) وخرج ذلك ابن عطية على أن رفع - بشر - إما على إضمار فعل مبني للفعول والتقدير أينبأ بشر ، وإما على الابتداء والخبر جملة (تبعه) ، ونصب (واحداً) على الحال إما من ضمير النصب في (تبعه) ، وإما من الضمير المستقر في (منا) وخرج صاحب اللوامح نصب (واحداً) على هذا أيضاً ، وأما رفع بشر فخرجه على الابتداء وإضمار الخبر أي أبشر منا يبعث إلينا أو يرسل أو نحوهما ، وتقدم الاستفهام يرجح تقدير فعل يرفع به (إِنَّا إِذَا) أي إذا اتبعنا بشراً منا واحداً ﴿ لَنِي ضَلَّلَ ﴾ عظيم عن الحق ﴿ وَسُعِّرَ ٢٤ ﴾ أي نيران جمع سعير * وروى أن صالحاً عليه السلام كان يقول لهم : إن لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعرفكم سوا عليه لغاية عتقهم فقالوا : إن اتبعناك كنا إذا كما تقول ، فالسكلام من باب التعكيس والقول بالموجب ، وجمع السعير باعتبار الدرجات ، أو للمبالغة ، وروى عن ابن عباس ما يحتمل ما قلنا فانه قال : أي لني بعد عن الحق وعذاب ، وفي رواية أخرى عنه تفسير السعير بالجمون على أنه اسم مفرد بمعنى ذلك يقال ناقة مسعورة إذا كانت تفرط في سيرها كأنها مجنونة قال الشاعر :

كأن بها (سعراً) إذا العيس هزها ذميل وإرخاء من السير متعب

والأول أوجه وأصح ﴿ أُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ أي أنزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو أحق منه بذلك ، والتعبير بألقى دون أنزل قيل : لانه يتضمن العجلة في الفعل ﴿ بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرُّ ٢٥ ﴾ أي شديد البطور وهو على ما قال الراغب : دهش يعتري من سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحقوقها ووضعها إلى غير وجهها ، ويقاربه الطرب وهو خفة أكثر ما تعتري من الفرح : ومرادهم ليس الامر كذلك بل هو كذا وكذا حمله شدة بطره وطلبه التعظيم علينا على ادعاء ذلك ، وقرأ قتادة . وأبو قلابة - بل هو الكذب الأشر - بلام التعريف فيهما ويفتح الشين وشد الراء ، وسيأتي إن شاء الله تعالى قريباً ما في ذلك ، وقوله تعالى :

﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَّابِ الْأَشْرُ ٢٦ ﴾ حكاية لما قاله سبحانه وتعالى لصالح عليه السلام وعداً له ووعداً لقومه ، والسين لتقريب مضمون الجملة وتأكيده ، والمراد بالغد وقت نزول العذاب الدنيوي بهم ، وقيل : يوم القيامة فهو لمطلق الزمان المستقبل وعبر به لتقريبه ، وعليه قول الطرماع :

ألا علاني قبل نوح النوائح وقبل اضطراب النفس بين الجوائح
وقبل (غد) يالطف نفسي على غد إذا راح أصحابي ولست برائح

أي (سيعلمون) البتة عن قريب (من الكذاب الأشر) الذي حمله أشره وبطره على ما حمله أصالح أم من كذبه ، والمراد سيعلمون أنهم هم الكذابون الأشرون لكن أورد ذلك مورد الإبهام إيماء إلى أنه بما لا يكاد يخفى ، ونحوه قول الشاعر :

فلئن لقيتك خالين لتعلمن (أي وأيك) فارس الاحزاب

وقرأ ابن عامر . وحمة . وطلحة . وابن وثاب . والأعمش . ستعلمون - بناء الخطاب على حكاية ما قال لهم صالح مجيباً لهم، وفي الكشف أو هو كلام على سبيل الالتفات، قال صاحب الكشف: أي هو كلام الله تعالى لقوم ثمود على سبيل الالتفات اليهم إما في خطابه تعالى لرسولنا صلى الله تعالى عليه وسلم وهو نظير ما حكاه سبحانه عن شعيب (فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم) بعد ما استؤصلوا هلاكاً وهو من بليغ الكلام فيه دلالة على أنهم أحقاء بهذا الوعيد وكأنهم حضور في المجلس حول اليهم الوجه لينعى عليهم جنايتهم . وإما في خطابه عز وجل لصالح عليه السلام والمزل حكاية ذلك الكلام المشتمل على الالتفات . وعلى التقديرين لا إشكال فيه كما توهم . ولفظ الزمخشري على الأول أدل وهو أبلغ انتهى، ومن التفت إلى ما قاله الجمهور في الالتفات لا أظنه تسكن نفسه بما ذكر فتأمل ، وقرأ مجاهد فيما ذكره صاحب اللوامح . وأبو قيس الاودى (الأشر) بثلاث ضمات وتخفيف الراء . ويقال : أشر وأشر تكذر وحذر فضمة الشين لغة وضم الهمزة تبع لها *

وحكى الكسائي عن مجاهد ضم الشين دون الهمزة فهو كندس . وقرأ أبو حيوه (الأشر) أفعل تفضيل أي الأبلغ في الشرارة وكذا قرأ قتادة . وأبو قلابه أيضاً وهو قليل الاستعمال وإن كان على الأصل كالآخر في قول روبة: * بلال خير الناس وابن الآخر * وقال أبو حاتم: لا تكاد العرب تسكلم بالآخر - (والأشر) إلا في ضرورة الشعر وأنشد البيت ، وقال الجوهري : لا يقال (الأشر) إلا في لغة رديئة ، وقوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا رَسَّالُوا النَّاقَةَ ﴾ الخ استئناف مسوق لبيان مبادئ الموعود على ما هو الظاهر، وبه يتعين كون المراد بالغد وقت نزول العذاب الديوى بهم دون يوم القيامة، والارسال حقيقة في البعث وقد جعل هنا كناية عن الإخراج، وأريد المعنى الحقيقي معه كما أوماً إليه بعض الأجلة أي إنا نخرجوا الناقة التي سألوها من الهضبة وباعثوها ﴿ فَتَنَّتْ لَهُمْ ﴾ امتحاناً ، وجوز إبقاؤها على معناها المعروف ﴿ فَأَرْتَقِبَهُمْ ﴾ فانتظرهم وتبصر ما هم فاعلون ﴿ وَأَصْطَبِرُ ٢٧ ﴾ على أذاهم ولا تعجل حتى يأتي أمر الله تعالى ﴿ وَنَبِّئُهُمُ أَنَّ الْمَاءَ ﴾ وأخبرهم بأن ماء البئر التي لهم ﴿ قَسَمَةُ يَوْمَهُمْ ﴾ مقسوم لها يوم ولهم يوم، و(بينهم) لتغليب العقلاء، وقرأ معاذ عن أبي عمرو (قسمة) بفتح القاف ﴿ كُلُّ شَرِبٍ ﴾ نصيب وحصه منه ﴿ مُحْتَضَرٌ ٢٨ ﴾ يحضره صاحبه في نوبته فتحضر الناقة تارة ويحضرونه أخرى، وقيل: يتحول عنه غير صاحبه من حضر عن كذا تحول عنه وقيل: يمنع عنه غير صاحبه مجاز عن الحظر بالظا بمعنى المنع بعلاقة السببية فانه مسبب عن حضور صاحبه في نوبته وهو كما ترى ، وقيل : يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها، والمعنى كل شرب من الماء واللبن تحضرونه أنتم ﴿ فَنادَوْا ﴾ أي فأرسلنا الناقة وكانوا على هذه الوتيرة من القسمة فلما ذلك وعزموا على عقر الناقة (فنادوا) لعقرها ﴿ صَاحِبَهُمْ ﴾ وهو قدار بن سالف أحيمر ثمود وكان أجراًهم ﴿ فَتَعَاطَى ﴾ العقر أي فاجترأ على تعاطيه مع عظمه غير مكترث به *

﴿ فَعَقَرَهُ ٢٩ ﴾ فأحدث العقر بالناقة ، وجوز أن يكون المراد فتعاطى الناقة فعقرها ، أو فتعاطى السيف فقتلها ، وعلى كل ففعل تعاطى محذوف والتفريع لا غبار عليه ، وقيل: تعاطى منزل منزلة اللازم على أن معناه أحدث

ماهية التعاطي، وقوله تعالى: (فمقر) تفسير له لا متفرع عليه ولا يخفى ركا كسته، والتعاطي تناول مطلقاً على ما يفهم من كلام غير واحد، وزاد بعضهم قيد بتكلف ونسبة العقر اليهم في قوله تعالى: (فعقروا الناقة) لأنهم كانوا راضين به ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٌ ٣٠﴾ الكلام فيه كذا الذي تقدم ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ هي صيحة جبريل عليه السلام صباح يوم الاحد كما حكى المناوي عن الزمخشري في طرف منازلهم ﴿فَكَانُوا﴾ أي فصاروا ﴿كَهَشِيمٍ الْمُحْتَظَرِ ٣١﴾ أي كالشجر اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لما شيته في الشتاء وفي البحر الهشيم ماتفت وتشم من الشجر، و(المحظر) الذي يعمل الحظيرة فانه يتفت منه حالة العمل ويتساقط أجزاء مما يعمل به، أو يكون الهشيم ما يبدى من الحظيرة بطول الزمان تطؤه البهائم فيتشم، وتعقب هذا بأن الاظهر عليه كهشيم الحظيرة، والحظيرة الزرية التي تصنعها العرب. وأهل البوادي للواشي والسكنى من الأغصان والشجر المورق والقصب من الحظر وهو المنع.

وقرأ الحسن. وأبو حيو. وأبو السمال. وأبو رجاء. وعمرو بن عبيد (المحظر) بفتح الظاء على أنه اسم مكان. والمراد به الحظيرة نفسها أو هو اسم مفعول قيل: ويقدر له موصوف أي (كهشيم) الحائط (المحظر) أو لا يقدر على أن (المحظر) الزرية نفسها كما سمعت. وجوز أن يكون مصدراً أي كهشيم الاحتظار أي ماتفت حالة الاحتظار ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ٢٢﴾ كما مر ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالْأُنْذَرِ ٣٢﴾ على قياس النظير السابق ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ ملصكا على ما قيل - يحصبهم أي يرميهم بالحصاء والحجارة أو هو اسم للريح التي تحصب ولم يرد بها الحدوث كما في ناقة ضامر وهو وجه التذكير، وقال ابن عباس: هو ما حصبوا به من السماء من الحجارة في الريح، وعليه قول الفرزدق:

مستقبلين شمال الشام تضربنا (بحاصب) كنديف القطن منشور

﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ خاصته المؤمنين به، وقيل: آله ابنتاه ﴿نَجَّيْنَهُمْ بِسَحَرٍ ٣٤﴾ أي في سحر وهو آخر الليل، وقيل: السدس الأخير منه، وقال الراغب: السحر والسحرة اختلاط ظلام آخر الليل بصفاء النهار وجعل اسما لذلك الوقت، ويجوز كون الباء للملابسة والجار والمجرور في موضع الحال أي ملتبسين (بسحر) داخزين فيه ﴿نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا﴾ أي إنعاماً منا وهو علة لنجينا، ويجوز نصبه بفعل مقدر من لفظه، أو بنجينا لأن التنجية إنعام فهو كقعدت جلوساً ﴿كَذَلِكَ﴾ أي مثل ذلك الجزاء العجيب ﴿نَجَّيْ مِنْ شَكْرٍ ٣٥﴾ نعمتنا بالإيمان والطاعة ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرُهُمْ﴾ لوط عليه السلام ﴿بَطَشْتَنَا﴾ أخذتنا الشديدة بالعذاب.

وجوز أن يراد بها نفس العذاب ﴿فَتَمَارَوْا﴾ فكذبوا ﴿بِالْأُنْذَرِ ٣٦﴾ متشاكين، فالفعل مضمن معنى التكذيب ولولاه تعدى بنى ﴿وَلَقَدْ رَوَدُّهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾ صرفوه عن رآيه فيهم وطلبوا الفجور بهم وهذا من إسناد مالبعض للجميع لرضاهم به ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ أي أزلنا أثرها وذلك بمسحها وتسويتها كسائر الوجوه، وهو كما قال أبو عبيدة، وروى أن جبريل عليه السلام استأذن ربه سبحانه في عقوبتهم ليلة جاءوا وعالجوا الباب ليدخلوا عليهم فصفقهم بجناحه فتركهم عرياناً يترددون لا يهتدون إلى طريق خروجهم حتى أخرجهم لوط عليه السلام

وقال ابن عباس. والضحاك : إنما حجب إدراكهم فدخلوا المنزل ولم يروا شيئاً فجعل ذلك كالطمس فعبر به عنه *
 وقرأ ابن مقسم (فطمسنا) بتشديد الميم للتكثير في المفعول ﴿ فذوقوا عَذَابِي وَنُذِرْ ﴾ ٣٧ أى قفلنا لهم ذلك على السنة الملائكة عليهم السلام ، فالقول في الحقيقة لهم وأسند إليه تعالى مجازاً لأنه سبحانه الأمر أو القائل ظاهر الحال فلا قول وإنما هو تمثيل ، والمراد بالعذاب الطمس وهو من جملة ما أنذروه *

﴿ وَلَقَدْ صَبَحَهُمْ بُكْرَةً ﴾ أول النهار وهي أخص من الصباح فليس في ذكرها بعده زيادة وكان ذلك أول شروق الشمس ، وقرأ زيد بن علي (بكرة) غير مصروقة للعلية والتأنيث على أن المراد بها أول نهار مخصوص *

﴿ عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ ٣٨ ﴾ يستقر بهم ويدوم حتى يسلمهم إلى النار، أو لا يدفع عنهم، أو يبلغ غايته *

* ﴿ فذوقوا عَذَابِي وَنُذِرْ ٣٩ ﴾ حكاية لما قيل لهم بعد التصحيح من جهته تعالى تشديداً للعذاب ، أو هو تمثيل *

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ٤٠ ﴾ تقدم ما فيه من الكلام ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ٤١ ﴾ *

صدرت قصتهم بالتوكيد القسمي لابرز كمال الاعتناء بشأنها لغاية عظم ما فيها من الآيات وكثرتها وهول مالا قوه من العذاب وقوة إيجابها للالتعاظ والاكتفاء بذكر آل فرعون للعلم بأن نفسه أولى بذلك فانه رأس الطغيان ومدعى الألوهية ، والقول : بأنه إشارة إلى إسلامه مما لا يلتفت إليه ، (النذر) إن كان جمع نذير بمعنى الانذار فالأمر ظاهر وكذا إن كان مصدرأ ، وأما إن كان جمع نذير بمعنى المنذر فالمراد به موسى وهرون وغيرهما لأنهما عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون أى وبالله تعالى لقد جاءهم المنذرون ، أو الانذرات ، أو الانذار، وقوله

تعالى : ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُذَّابًا ﴾ استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية مجيئ النذر كأنه قيل : فماذا فعل آل فرعون

حينئذ ؟ فقيل : كذبوا بجميع آياتنا وهي آيات الأنبياء كلهم عليهم السلام فان تكذيب البعض تكذيب للكل ، أو هي الآيات التسع ، وجوز الواحدى أن يراد بالنذر نفس الآيات فقوله سبحانه : (بآياتنا) من إقامة الظاهر مقام الضمير والأصل كذبوا بها ، وزعم بعض غلاة الشيعة وهم المسلمون بالكشفية في زماننا أن المراد - بالآيات كلها - على كرم الله تعالى وجهه فإنه الإمام المبين المذكور في قوله تعالى : (وكل شئ أحصيناه في إمام مبين) وأنه كرم الله تعالى وجهه ظهر مع موسى عليه السلام لفرعون وقومه فلم يؤمنوا - وهذا من الهذيان

بمكان - نسأل الله تعالى العفو والعافية ﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ ﴾ أى آل فرعون ، وزعم بعض أن ضمير (كذبوا) وضمير أخذناهم عائدان على جميع من تقدم ذكره من الأمم وتم الكلام عند قوله تعالى : (النذر) وليس

بشئ ، والفاء للتفريع أى (فأخذناهم) وقهرناهم لأجل تكذيبهم ﴿ (أَخَذَ عَزِيزٌ) ﴾ لا يغالب ﴿ (مُقْتَدِرٌ ٤٢) ﴾ *

لا يعجزه شئ ، ونصب أخذ على المصدرية لاعلى قصد التشبيه * (أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَمْ) * أى الكفار المعدودين قوم نوح . وهود . وصالح . ولوط . وآل فرعون ، والمراد الخيرية باعتبار الدنيا وزيتها ككثرة القوة والشدة وفور العدد والعدة ، أو باعتبار لين الشكيمة في الكفر بأن يكون الكفار المحدث عنهم بالخيرية أقل عناداً وأقرب طاعة وانقياداً ، وظاهر كلام كثير أن الخطاب هنا عام للمسلمين وغيرهم حيث قالوا : (أَكْفَارُكُمْ) يامعشر العرب (خير) الخ والاستفهام إنكارى في معنى النفي فكأنه قيل : ما كفاركم خير من أولئك الكفار المعدودين بأن يكونوا أكثر منهم قوة وشدة وأوفر عدداً وعدة ، أو بأن يكونوا أليين شكيمة في الكفر والعصيان

والضلال والظلميان بل هم دونهم في القوة وما أشبهها من ذينة الدنيا، أو أسوأ حالا منهم في الكفر، وقد أصاب من هو خير ما أصاب فكيف يطمعون هم في أن لا يصيبهم نحو ذلك، وكذا قيل: في الخطاب في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ وجعل بتقدير أم لكفاركم وهو إضراب وانتقال إلى تنكيت آخر فكأنه قيل: بل الكفاركم براءة وأمن من تبعات ما يعملون من الكفر والمعاصي وغوائلها في الكتب السماوية فلذلك يصرون على ما هم عليه ولا يخافون، واختار بعضهم في هذا أنه خاص بالكفار، وقالوا في قوله تعالى:

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ٤٣﴾ إنه إضراب من التبكيت المذكور إلى تبكيت آخر بطريق الالتفات للايذان بإفضاء حالهم إلى الاعراض عنهم وإسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم لغيرهم، أي بل يقولون واثقين بشوكتهم نحن جماعة أمرنا مجتمع لا يرام ولا يضام، أو (منتصر) من الأعداء لا يغلب، أو متناصرين نصر بعضنا بعضاً والذي يترجح في نظر الفقير أن الخطاب في الموضوعين خاص على ما يقتضيه السياق بكفار أهل مكة والعرب وهو ظاهر في الموضوع الثاني لا يحتاج إلى شيء، وأما في الموضوع الأول فوجه أن تكون الإضافة مثلها في الدراهم كلها كذا، وطور سيناء، ويوم الأحد ولم يقل أنتم للتخصيص على كفرهم المقتضى لهلاكهم، ويجوز أن يعتبر في (أ كفاركم) ضرب من التجريد الذي ذكره في نحو (لهم فيها دار الخلد) فكأنه جرد منهم كفر وأضيفوا إليهم، وفي ذلك من المبالغة ما فيه، ويجوز أن يكون هذا وجهاً للعدول عن أنتم، وربما يترجح به كون الخيرية المنفية باعتبار لين الشكيمة في الكفر وكأنه لما خوف سبحانه الكفار الذين كذبوا الآيات وأعرضوا عنها، وقالوا هي سحر مستمر بذكر ما حل بالأمم انسالفه مما تبرق وترعد منه أسارى الوعيد قال عز وجل لهم نلم لا تخافون أن يحل بكم مثل ما حل بهم أنتم أقل كفراً وعناداً منهم ليسكون ذلك سبباً للأمن من حلول نحو عذابهم بكم أم أعطاكم الله عز وجل براءة من عذابه أم أنتم أعز منهم منتصرون على جنود الله تعالى وعدل سبحانه عن أم أنتم جميع منتصر إلى ما في النظم الجليل للإشارة إلى أن ذلك مما لا تحقق له أصلاً إلا باللفظ ومحض الدعوى التي لا يوافق عليها قائل، فأسرار كلام الله تعالى لا تنهاى، ثم لا تعجل بالاعتراض على ما قلناه وإن لم يكن لناسلف فيه حسبا تتبعنا، ثم إن (جميع) على ما أشير إليه بمعنى الجماعة التي أمرها مجتمع وليس من التأكيد في شيء بل هو خبر (نحن)، وجوز أن يكون بمعنى مجتمع خبر مبتدأ محذوف وهو (أمرنا) والجملة خبر (نحن) وأن يكون هو الخبر والاسناد مجازي، و(منتصر) على ما سمعت إما بمعنى ممتنع يقال: نصره فانتصر إذا منعه فامتنع والمراد بالامتناع عدم المغلوبة أو هو بمعنى منتقم من الأعداء أو هو من النصر بمعنى العون؛ والافتعال بمعنى التفاعل كالاختصاص والتخاصم وكان الظاهر منتصرون إلا أنه أفرد باعتبار لفظ الجميع فانه مفرد لفظاً جمع معنى ورجح هنا جانب اللفظ عكس بل أنتم قوم تجهلون لحفة الأفراد مع رعاية الفاصلة وليس في الآية رعاية جانب المعنى أولاً، ثم رعاية جانب اللفظ ثانياً على عكس المشهور، وإن كان ذلك جائزاً على الصحيح كما لا يخفى على الحبير، وقرأ أبو حيوة. وموسى الأسوارى. وأبو البرهمس - أم تقولون - بقاء الخطاب، وقوله تعالى:

﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ﴾ ردلقولهم ذلك والسين للتأكيد أي يهزم جمعهم البتة ﴿ويُولَوْنَ الدُّبُرَ ٤٥﴾ أي الأدبار، وقد قرئ كذلك، والإفراد لإرادة الجنس الصادق على الكثير مع رعاية الفواصل ومشكاة القرائن، أولانه في تأويل يولى كل واحد منهم دبره على حد كسانا الأمير حلة مع الرعاية المذكورة أيضاً وقد كان هذا يوم بدر وهو من دلائل النبوة لأن الآية مكية، وقد نزلت حيث لم يفرض جهاد ولا كان قتال ولذا قال عمر

رضى الله تعالى عنه : يوم نزلت أى جمع يهزم أى من جموع الكفار ؟ ولم يتعرض لقتال أحد منهم ، وقد تقدم الخبره
ومأشرونا اليه يعلم أن قول الطيبي في هذه الرواية نظر لأن همزة الإنكار في (أم يقولون) الخ دلت على أن
المنهزمين من هم ناشئ عن الغفلة عن مراد عمر رضى الله تعالى عنه ، وقرأ أبو حيوه . وموسى الاسوارى .
وأبو البرهسم - ستهزم الجمع - بفتح التاء وكسر الزاى خطاباً لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونصب الجمع
على المفعولية ، وقرأ أبو حيوه أيضاً . ويعقوب - ستهزم - بالنون مفتوحة وكسر الزاى على إسناد الفعل إلى
ضمير العظمة ، وعن أبي حيوه . وابن أبي عملة (ستهزم) الجمع بفتح الياء مبنياً للفعل ونصب الجمع أى ستهزم
الله تعالى الجمع ، وقرأ أبو حيوه . وداود بن أبي سالم عن أبي عمرو - وتولون - بقاء الخطاب ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ﴾
أى ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة موعدهم وعذابهم وهذا من طلائعه ﴿ وَالسَّاعَةُ أَدهَى ﴾ أى أعظم داهية
وهى الامر المنكر الفظيع الذى لا يهتدى إلى الخلاص عنه ﴿ وَأَمْرٌ ٤٦ ﴾ وأشد مرارة في الذوق وهو استعارة
لصعوبتها على النفس ، وقيل : أقوى وليس بذلك وإظهار الساعة في موضع إضمارها الترية تهويلها ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ ﴾
من الأولين والآخرين ﴿ فِي ضَلَالٍ ﴾ في هلاك ﴿ وَسَعُرٌ ٤٧ ﴾ ونيران مسعرة أو في ضلال عن الحق ونيران
في الآخرة ، وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : في خسران وجنون ، وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ ﴾
أى يجرون ﴿ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ﴾ متعلق بقول مقدر بعده أى يوم يسحبون يقال لهم ﴿ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ٤٨ ﴾
وجوز أن يكون متعلقاً بمقدر يفهم مما قبل أى يعذبون ، أو يهانن ، أو نحوه ، وجملة القول عليه حال من
ضمير (يسحبون) وجوز كونه متعلقاً - بذوقوا - على أن الخطاب للمكذبين المخاطبين في قوله تعالى : (أ كفاركم)
الخ أى ذوقوا أيها المكذبون محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم يوم يسحب المجرون المتقدمون ، والمراد حشرهم
معهم والتسوية بينهم في الآخرة كما ساووه في الدنيا وهو كما ترى ، والمراد - بمس سقر - ألمها على أنه مجاز مرسل
عنه بعلاقة السبية فإن مسها سبب للتألم بها وتعلق الذوق بمثل ذلك شائع في الاستعمال ، وفي الكشف (مس
سقر) كقولك وجد مس الحى وذاق طعم الضرب لان النار إذا أصابتهم بحرها ولحققتهم بايلامها فكأنها تسهم
مساً بذلك كما يمس الحيوان ويأشرب بما يؤذى ويؤلم وهو مشعر بأن في السلام استعارة مكنية نحو (ينقضون
عهد الله) ويحتمل غير ذلك ، (وسقر) علم لجهنم - أعادنا الله تعالى منها ببركة كلامه العظيم وحرمة حبيبه عليه
أفضل الصلاة وأكمل التسليم - من سقرته للنار وصقرته بأبدال السين صاداً لاجل القاف إذا لوحته وغيرت لونه
قال ذو الرمة يصف ثور الوحش :

إذا ذابت الشمس اتقى صقراتها بأفنان مربوع الصريمة معبل

وعدم الصرف للعلمية والتأنيث ، وقرأ عبد الله إلى النار ، وقرأ محبوب عن أبي عمرو (مس سقر) بادغام السين
في السين ، وتعقب ذلك ابن مجاهد بأن إدغامه خطأ لأنه مشدد ، والظن بأبي عمرو أنه لم يدغم حتى حذف إحدى
السينين لاجتماع الامثال ثم أدغم ﴿ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ ﴾ من الاشياء ﴿ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ أى مقدراً مكتوباً في اللوح
قبل وقوعه ، فالقدر بالمعنى المشهور الذى يقابل القضاء ، وحمل الآية على ذلك هو المأثور عن كثير من السلف ،
وروى الامام أحمد . ومسلم . والترمذى . وابن ماجه عن أبي هريرة قال : « جاء مشركو قريش يخاصمون

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في القدر فنزلت (يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر إنا كل شئ خلقناه بقدر) وأخرج البخاري في تاريخه والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن عدى وابن مردويه عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « صنفان من أمتي ليس لهما في الاسلام نصيب المرجئة والقدرية » أنزلت فيهم آية في كتاب الله (إن المجرمين في ضلال وسعر) إلى آخر الآيات ، وكان ابن عباس يكره القدرية جداً ، أخرج عبد بن حميد عن أبي يحيى الأعرج قال سمعت ابن عباس - وقد ذكر القدرية - يقول : لو أدر كت بعضهم لفعلت به كذا وكذا ثم قال : الزنا بقدر . والسرقة بقدر . وشرب الخمر بقدر * وأخرج عن مجاهد أنه قال : قلت لابن عباس : ماتقول فيمن يكذب بالقدر ؟ قال : اجمع بيني وبينه قلت : ماتصنع به ؟ قال : أخنقه حتى أقتله ، وقد جاء ذمهم في أحاديث كثيرة ، منها ما أخرجه أحمد . وأبو داود . والطبراني عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « لكل أمة مجوس ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر إن مرضوا فلا تعودوم وإن ماتوا فلا تشهدوم » . وجوز كون المعنى إنا كل شئ خلقناه مقدراً محكماً مستوفى فيه مقتضى الحكمة التي يدور عليها أمر التكوين ، فالآية من باب (وخلق كل شئ فقدره تقديرأ) ونصب (كل) يفعل يفسره ما بعده أى إنا خلقنا كل شئ خلقناه ، وقرأ أبو السمال قال : ابن عطية . وقوم من أهل السنة يرفع كل وهو على الابتداء ، وجملة (خلقناه) هو الخبر ، و(بقدر) متعلق به كما في القراءة المتواترة ، فتدل الآية أيضاً على أن كل شئ مخلوق بقدر ولا ينبغي أن تجعل جملة خلقناه صفة ، ويجعل الخبر (بقدر) لاختلاف القراءتين معنى حينئذ ، والاصل توافق القراءات ، وقال الرضى : لا يتفاوت المعنى لأن مراده تعالى بكل شئ كل مخلوق سواء نصبت (كل) أو رفعته وسواء جعلت (خلقناه) صفة مع الرفع ، أو خبراً عنه ، وذلك إن خلقنا كل شئ بقدر لا يريد سبحانه به خلقنا كل ما يقع عليه اسم شئ لانه تعالى لم يخلق جميع الممكنات غير المتناهية واسم الشئ يقع على كل منها ، وحينئذ نقول : إن معنى (كل شئ خلقناه بقدر) على أن خلقناه هو الخبر (كل) مخلوق مخلوق (بقدر) وعلى أن (خلقناه) صفة (كل شئ) مخلوق كائن . (بقدر) والمعنيان واحد إذ لفظ (كل) في الآية مختص بالمخلوقات سواء كان (خلقناه) صفة له أو خبراً ، وتعبه السيد السند قدس سره بأنه لقائل أن يقول : إذا جعلنا (خلقناه) صفة كان المعنى (كل) مخلوق متصف بأنه مخلوق كائن بقدر ، وعلى هذا لا يمتنع نظراً إلى هذا المعنى أن يكون هناك مخلوقات غير متصفة بتلك الصفة فلا تندرج تحت الحكم ، وأما إذا جعلناه خبراً أو نصبنا (كل شئ) فلا مجال لهذا الاحتمال نظراً إلى نفس المعنى المفهوم من الكلام فقد اختلف المعنيان قطعاً ولا يجدي به نفعاً أن كل مخلوق متصف بتلك الصفة في الواقع لانه إنما يفهم من خارج الكلام ولا شك أن المقصود ذلك المعنى الذي لا احتمال فيه ، وذكر نحوه الشهاب الخفاجي ولكون النصب نصاً في المقصود اتفقت القراءات المتواترة عليه مع احتياجه إلى التقدير وبذلك يترجح على الرفع الموهم لخلافه وإن لم يحتاج إليه * ﴿ وَمَا أُمِرْنَا إِلَّا بِوَاحِدَةٍ ﴾ أى ما شأننا إلا فملة واحدة على نهج لا يختلف ووتيرة لا تتعدد وهي الاستبصار بمعالجة ومشقة ، أو ما أمرنا إلا كلمة واحدة ، وهى قوله تعالى : (كن) فالامر مقابل النهى وواحد الأمور ، فإذا أراد عز وجل شيئاً قال له : (كن فيكون) ﴿ كَلَّمَكَ بِالْبَصَرِ ۝ ٥ ﴾ أى فى السير والسرعة ، وقيل : هذا فى قيام الساعة فهو كقوله تعالى : (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر) ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا شِيعَةً ﴾ أى أشباهكم فى الكفر

من الامم السالفة ، وأصله جمع شيعة وهم من يتقوى بهم المرء من الاتباع ولما كانوا في الغالب من جنس واحد أريد به ما ذكر إما باستعماله في لازمه ، أو بطريق الاستعارة ، والحال قرينة على ذلك ، وقيل : هو باق على حقيقته أى أتباعكم ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ متعظ بذلك ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ ﴾ من الكفر والمعاصي ، والضمير المرفوع للأشياء كما روى عن ابن عباس . والضحاك . وقتادة . وابن زيد ، رجلة (فعلوه) صفة (شئ) والرابط ضمير النصب ، وقوله تعالى : ﴿ فِي الزُّبُرِ ﴾ متعلق بكون خاص خبر مبتدأ أى كل شئ فعلوه في الدنيا مكتوب في كتب الحفظلة غير مغفول عنه ، وتفسير (الزبر) : ' اللوح المحفوظ كما حكاه الطبرسي ليس بشئ ، ولم يختلف القراء في رفع (كل) وليست الآية من باب الاشتغال فلا يجوز النصب لعدم بقاء المعنى الحاصل بالرفع لو عمل المشتغل بالضمير في الاسم السابق كما هو اللازم في ذلك الباب إذ يصير المعنى ههنا حيثئذ فعلوا (في الزبر) كل شئ . إن علقنا الجار - بفعلوا وهم لم يفعلوا شيئاً من أفعالهم في السكت بل فعلوها في أماكنهم والملائكة عليهم السلام كتبوها عليهم في السكت ، أو فعلوا كل شئ مكتوب (في الزبر) إن جعلنا الجار نعتاً لكل شئ ، وهذا وإن كان معنى مستقيماً إلا أنه خلاف المعنى المقصود حالة الرفع وهو ما تقدم آنفاً ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ ﴾ من الاعمال كما روى عن ابن عباس . ومجاهد وغيرهما ، وقيل : منها ومن كل ما هو كائن إلى يوم القيامة ﴿ مُسْتَطَرٌّ ﴾ مسطور مكتوب في اللوح بتفصيله وهو من السطر بمعنى السكت ، ويقال : سطرت واستطرت بمعنى ، وقرأ الأعمش . وعمران . وعصمة عن أبي بكر عن عاصم (مستطر) بتشديد الراء ، قال صاحب اللوامع : يجوز أن يكون من - طر - النبات والشارب إذا ظهر ، والمعنى كل (صغير و كبير) ظاهر في اللوح مثبت فيه ويجوز أن يكون من الاستطار لكن شدد الراء للوقف على لغة من يقول . جمفطر ويفعل - بالتشديد وفقاً أى ثم أجرى الوصل مجرى الوقف ووزنه على التوجيه الأول مستفعل وعلى الثاني مفتعل ، ولما كان بيان حال سوء الكفرة بقوله تعالى : (إن المجرمين) الخ مما يستدعي بيان حسن حال المؤمنين ليتكافأ الترهيب والترغيب بين سبحانه ما لهم من حسن الحال بطريق الاجمال فقال عز قائلنا : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ أى من الكفر والمعاصي ، وقيل : من الكفر .

﴿ فِي جَنَّاتٍ ﴾ عظيمة الشأن ﴿ وَنَهْرٍ ﴾ أى أنهار كذلك ، والافراد لا كتفاء باسم الجنس مراعاة للفواصل ، وعن ابن عباس تفسيره بالسعة ، وأنشد عليه قول لبيد بن ربيعة - كما في الدر المنثور - أوفيس بن الخطيب - كما في البحر - يصف طعنة :

ملكته بها كفى (فأنهت) فتقها يرى قائم من دونها ما وراها

أى أوسعت فتقها ، والمراد بالسعة سعة المنازل على ما هو الظاهر ، وقيل : سعة الرزق والمعيشة ، وقيل : ما يعيها وأخرج الحكيم والترمذي في نوادر الأصول عن محمد بن كعب قال : (ونهر) أى في نور وضياء وهو على الاستعارة بتشبيه الضياء المنتشر بالماء المتدفق من منبعه ، وجوز أن يكون بمعنى النهار على الحقيقة ، والمراد أنهم لا ظلمة ولا ليل عندهم في الجنات ، وقرأ الأعرج . ومجاهد . وحيد . وأبو السمال . والفياض بن غزوان (ونهر) بسكون الهاء ، وهو بمعنى (نهر) مفتوحها ، وقرأ الأعمش . وأبو نهيك . وأبو مجلز . واليماني (ونهر) بضم النون والهاء ، وهو جمع نهر المفتوح أو الساكن - كأسد وأسد ، ورهن ورهن - وقيل : جمع نهار ، والمراد أنهم لا ظلمة ولا ليل

عندهم كما حكى فيأمر، وقيل: قرئ بضم النون وسكون الهاء ﴿ في مقعد صدق ﴾ في مكان مرضى على أن الصدق مجاز مرسل في لازمه أو استعارة، وقيل: المراد صدق المبشر به وهو الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، أو المراد أنه ناله من ناله بصدقه وتصديقه للرسول عليهم السلام، فالإضافة لأدنى ملابسة، وقال جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه: مدح المكان بالصدق فلا يقعد فيه إلا أهل الصدق، وهو المقعد الذي يصدق الله تعالى فيه مواعيد أوليائه بأنه يبيح عز وجل لهم النظر إلى وجهه الكريم، وإفراد المقعد على إرادة الجنس *

وقرأ عثمان البتي - في مقاعد - على الجمع وهي توضح أن المراد بالمقعد المقاعد ﴿ عند مليك ﴾ أي ملك عظيم الملك، وهو صيغة مبالغة وليست الياء من الاشباع ﴿ مقتدر ٥٥ ﴾ قادر عظيم القدرة، والظرف في موضع الحال من الضمير المستقر في الجار والمجرور، أو خبر بعد خبر، أو صفة لمقعد صدق، أو بدل منه، والعندية للقرب الرتبى، وذكر بعضهم أنه سبحانه أبهم العندية والقرب ونكر - مليكا، ومقتدراً - للإشارة إلى أن ملكه تعالى وقدرته عز وجل لا تدرى الأفهام كنههما وأن قربهم منه سبحانه بمنزلة من السعادة والكرامة بحيث لا عين رأت ولا أذن سمعت مما يحل عن البيان وتكل دونه الأذهان *

وأخرج الحكيم الترمذي عن بريدة - عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله تعالى: (إن المتقين) الخ قال: إن أهل الجنة يدخلون على الجبار كل يوم مرتين فيقرأ عليهم القرآن وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزمرد والذهب والفضة بالأعمال فلا تقرأ أعينهم قط كما تقر بذلك ولم يسمعو شيئاً أعظم منه ولا أحسن منه ثم ينصرفون إلى رحالهم قريرة أعينهم ناعمين إلى مثلها من الغد - وإذا صح هذا فهو من المتشابه كآلية فلا تغفل، ولهذين الاسمين الجليلين شأن في استجابة الدعاء على ما في بعض الآثار *

أخرج ابن أبي شيبة عن سعيد بن المسيب قال: دخلت المسجد وأنا أرى أنى أصبحت فإذا على ليل طويل وليس فيه أحد غيري فسمعت حركة خلفي ففرعت فقال: أيها الممتلئ قلبه فرقا لا تفرق أو لا تفرع وقال اللهم إنك ملك مقتدر ما تشاء من أمر يكون ثم سل ما بدالك قال: فاسألت الله تعالى شيئاً إلا استجاب لي وأنا أقول: اللهم إنك ملك مقتدر ما تشاء من أمر يكون فأسعدني في الدارين وكن لي ولا تكن علي وانصرني على من بغى علي وأعذني من هم الدين وقهر الرجال وشماتة الأعداء، وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، والحمد لله رب العالمين *

﴿ سورة الرحمن عز وجل ﴾

وسميت في حديث أخرجه البيهقي عن علي كرم الله تعالى وجهه مرفوعاً « عروس القرآن » ورواه موسى ابن جعفر رضي الله تعالى عنهما عن آبائه الأئمة كذا (وهي مكية) في قول الجمهور، وأخرج ذلك ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير . وعائشة رضي الله تعالى عنهم . وابن النحاس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وأخرج ابن الضريس . وابن مردويه . والبيهقي في الدلائل عنه أنها نزلت بالمدينة، وحكى ذلك عن مقاتل، وحكاها في البحر عن ابن مسعود أيضاً، وحكى أيضاً قولاً آخر عن ابن عباس وهو أنها مدنية سوى قوله تعالى: